

التعليق الرشيد  
على كتاب التوحيد  
للإمام البخاري الصنديد

الذكتور

عبد العزيز بن عبد الله بن  
عبد الرحمن بن عبد الوهاب

جامع الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## فهرس

- ١ ..... مقدمة المؤلف
- ٢ ..... مقدمة قبل البدء بالشرح
- ٢ ..... سبب عناية السلف بتوحيد الأسماء والصفات أكثر من غيره
- ٢ ..... طريقة الإمام البخاري في جامعه وتبويباته
- ٣ ..... كثير من شراح صحيح البخاري لم يشرحوه على معتقد السلف
- ٤ ..... حث أهل السنة على تحقيق مسائل العقيدة
- ٦ ..... بداءة التعليق على المتن
- ٦ ..... المتن من الحديث (٧٣٧١) إلى (٧٣٧٥)
- ٧ ..... للجهمية إطلاقين
- ٨ ..... لفظ (التوحيد) عند أهل السنة وعند الطوائف المخالفة
- ١٠ ..... حال كفار قريش مع توحيد الأسماء والصفات
- ١١ ..... ما معنى أن لله حقاً على عباده؟
- ١٢ ..... السبب في أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن
- ١٥ ..... المتن من الحديث (٧٣٧٦) إلى (٧٣٧٧)
- ١٥ ..... دليل فيه الرد على إنكار المعتزلة لأسماء الله

- ١٩..... المتن، الحديث رقم: (٧٣٧٨).....
- ٢٠..... المتن من الحديث (٧٣٧٩) إلى (٧٣٨٠).....
- ٢١..... صفة العلم لله، والفرق بين علم الغيب المطلق والجزئي.....
- ٢٣..... تفسير الصحابة لقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.....
- ٢٥..... المتن، الحديث رقم: (٧٣٨١).....
- ٢٥..... معنى اسم الله السلام.....
- ٢٧..... المتن، الحديث رقم: (٧٣٨٢).....
- ٢٨..... المتن من الحديث (٧٣٨٣) إلى (٧٣٨٤).....
- ٢٩..... جواز الحلف بصفات الله.....
- ٣٠..... معنى قوله: (حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ).....
- ٣١..... العلاقة بين صفات الله وصفات المخلوقين.....
- ٣٢..... تنبيه على علاقة التواطؤ.....
- ٣٤..... المتن، الحديث رقم: (٧٣٨٥).....
- ٣٥..... هل يُؤخذ من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اسم النور لله؟.....
- ٣٧..... المتن من الحديث (٧٣٨٦) إلى (٧٣٨٩).....
- ٣٨..... هل السمع والبصر من الصفات الذاتية أو الفعلية؟.....
- ٤٠..... معنى قُرب الله عند أهل السنة.....
- ٤١..... المتن، الحديث رقم: (٧٣٩٠).....

- ٤٢..... التوسل المشروع يكون بثلاثة أمور.....
- ٤٥..... المتن، الحديث رقم: (٧٣٩١).....
- ٤٦..... المتن، الحديث رقم: (٧٣٩٢).....
- ٤٦..... قوله: (إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا) لا يفيد الحصر.....
- ٥٠..... إحصاء أسماء الله على ثلاث مراتب.....
- ٥٦..... المتن من الحديث (٧٣٩٣) إلى (٧٤٠١).....
- ٥٨..... فائدة: أذكار النوم عامة لنوم النهار والليل.....
- ٥٩..... المتن، الحديث رقم: (٧٤٠٢).....
- ٦٠..... باب الأسماء والصفات توقيفي، بخلاف باب الإخبار.....
- ٦٢..... المتن من الحديث (٧٤٠٣) إلى (٧٤٠٥).....
- ٦٣..... إثبات أهل السنة صفة النفس لله.....
- ٦٤..... أقوال أهل السنة في حديث: (... وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً).....
- ٦٥..... المتن، الحديث رقم: (٧٤٠٦).....
- ٦٥..... إثبات صفة الوجه لله.....
- ٦٦..... قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَاَنْ﴾ و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ليست على ظاهرها.....
- ٦٧..... المتن من الحديث (٧٤٠٧) إلى (٧٤٠٨).....
- ٦٧..... قول البخاري: ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي﴾: تُغَدِّي) ليس تأويلاً.....

- ٦٨..... هل تفسير الشيء بلازمه يُعد تأويلاً؟
- ٧٠..... المتن، الحديث رقم: (٧٤٠٩)
- ٧١..... المتن من الحديث (٧٤١٠) إلى (٧٤١٥)
- ٧٣..... إثبات الأشاعرة الأوائل لصفة اليدين والعين والوجه لله
- ٧٥..... كلتا يدي الله يمين، ولا يُثبت الشمال لله
- ٧٧..... المتن، حديث رقم: (٧٤١٦)
- ٧٧..... إثبات صحة إطلاق (الشخص) على الله
- ٧٩..... المتن، حديث رقم: (٧٤١٧)
- ٧٩..... أمران في قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾
- ٨١..... المتن من الحديث (٧٤١٨) إلى (٧٤٢٨)
- ٨٥..... معاني الاستواء عند أهل السنة
- ٨٧..... ما جاء في باب الأذكار فهو توقيفي، والوجه الصواب في دعاء الكرب
- ٨٩..... المتن من الحديث (٧٤٢٩) إلى (٧٤٣٣)
- ٩١..... تنوع الأدلة في إثبات العلو لله
- ٩٣..... هل يُثبت أبو الحسن الأشعري العلو؟
- ٩٤..... المتن من الحديث (٧٤٣٤) إلى (٧٤٤٧)
- ١٠٢..... إثبات رؤية الله يوم القيامة
- ١٠٤..... المراد بالمقام المحمود للنبي ﷺ

- أدلة اللقي تدل على الرؤية ..... ١٠٦
- لفظة: (وَدَنَا الْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَتَدَلَّى) خطأ ووهم من أوهام شريك ..... ١٦٥
- المتن من الحديث (٧٥١٨) إلى (٧٥١٩) ..... ١٦٦
- محنة الإمام البخاري في مسألة اللفظ ..... ١٦٨
- المتن من الحديث (٧٥٢٠) إلى (٧٥٢١) ..... ١٧٢
- ذكر الأدلة في أن أفعال العباد مخلوقة ومنها ألفاظهم ..... ١٧٣
- المتن من الحديث (٧٥٢٢) إلى (٧٥٢٣) ..... ١٧٥
- بيان أن كلام الله القرآن حدث بعد التوراة والإنجيل ..... ١٧٦
- المتن، حديث رقم: (٧٥٢٤) ..... ١٧٧
- المتن من الحديث (٧٥٢٥) إلى (٧٥٢٧) ..... ١٧٩
- المتن من الحديث (٧٥٢٨) إلى (٧٥٢٩) ..... ١٨١
- المتن من الحديث (٧٥٣٠) إلى (٧٥٣٢) ..... ١٨٣
- المتن، حديث رقم: (٧٥٣٣) ..... ١٨٨
- الفرق بين التلاوة والمتلو ..... ١٨٩
- المتن، حديث رقم: (٧٥٣٤) ..... ١٩١
- المتن، حديث رقم: (٧٥٣٥) ..... ١٩٢
- المتن من الحديث (٧٥٣٦) إلى (٧٥٤٠) ..... ١٩٣

- المتن من الحديث (٧٥٤١) إلى (٧٥٤٣) ..... ١٩٥
- المتن من الحديث (٧٥٤٤) إلى (٧٥٤٩) ..... ١٩٧
- المتن، حديث رقم: (٧٥٥٠) ..... ٢٠٠
- المتن من الحديث (٧٥٥١) إلى (٧٥٥٢) ..... ٢٠١
- المتن من الحديث (٧٥٥٣) إلى (٧٥٥٤) ..... ٢٠٣
- المتن من الحديث (٧٥٥٥) إلى (٧٥٥٩) ..... ٢٠٥
- قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ اختار ابن تيمية أن (ما) موصولة وخطأ القول بأنها مصدرية ..... ٢٠٧
- المتن من الحديث (٧٥٦٠) إلى (٧٥٦٢) ..... ٢١٠
- قوله: (سيماهم التحليق) ليست العلامة الفارقة للخوارج ..... ٢١٢
- المتن، حديث رقم: (٧٥٦٣) ..... ٢١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد طالعت تفريراً لدورة علمية في شرح كتاب التوحيد من (صحيح البخاري)،  
قام بإعداده بعض الإخوة، ووضعوا له فهرساً، وأسميته:

«التعليق الرشيد على كتاب التوحيد للإمام البخاري الصنديد»

وتتميز هذه النسخة بالتوثيق للنقولات، والإصلاح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف على موقع الإسلام العتيق

<https://islamancient.com>

١٠ / ٦ / ١٤٤٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقْتَضَاتُهَا

(كتاب التوحيد) آخر كتاب في صحيح البخاري، وهو كتاب عظيم تضمن مسائل عقدية متعددة برزت في تبويبه، وما يورده من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وقبل التعليق على هذا الكتاب العظيم أذكر أمورًا:

**الأمر الأول:** اعتنى السلف **رَحْمَةُ اللَّهِ** بتوحيد الأسماء والصفات ونحوه أكثر من اعتنائهم بتوحيد الإلهية؛ وذلك لأن المخالفين كان خلافهم في هذا النوع من التوحيد، ولم يظهر الخلاف في توحيد الإلهية، لذلك كثر كلامهم في الأسماء والصفات، وقد ذكر هذا ابن بطة **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن نفسه ومنهجه في كتابه: (الإبانة الكبرى) <sup>(١)</sup>، وهذا صنيع الإمام البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه، فإن كلامه في توحيد الأسماء والصفات.

**الأمر الثاني:** طريقة الإمام البخاري في جامعه وتبويباته أنه لا يذكر الباب واضح المدلول دائمًا، فتارة يُبوب تبويبًا واضحًا ثم يُورد الآية والحديث واضحًا في دلالته، وتارة يُورد الحديث تحت الباب ولا يكون وجه الدلالة واضحًا، ومن عجيب صنعه **رَحْمَةُ اللَّهِ** أنه قد يذكر الحديث قبل في أبواب أخرى أو كتب أخرى من صحيحه باللفظ الذي هو الشاهد، وفي هذا الموضع لا يأتي بالشاهد.

(١) الإبانة الكبرى (٦/١٤٩).

لذا نحتاج إلى تأمل في معرفة مراد الإمام البخاري من تبويباته، ثم التأمل في وجه الدلالة من الآية والحديث الذي أورده.

**الأمر الثالث:** كثير من سُرَّاح صحيح البخاري كابن بطلال، والخطابي، وابن حجر، والعيني... إلخ، لم يشرحوه على معتقد السلف، لاسيما في أسماء الله وصفاته؛ فقد لا يتفطنون لمراد الإمام البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** من تبويبه؛ لأنهم مُخالفون له في الاعتقاد، فالإمام البخاري من أئمة السنة وعلى طريقة السلف الماضين؛ لذلك مثلهم لا يُعتمد عليهم في هذا.

ومن هاهنا تظهر صعوبة معرفة مراد الإمام البخاري؛ لأنه لا يُعتمد على هؤلاء في ذلك، وحتى يبيِّن هذا الأمر فإن البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** ذكر نسبة الشخص إلى الله بناءً على ما ثبت في لفظ مسلم: «**لا شخص**»<sup>(٢)</sup>، وقد حكى ابن بطلال<sup>(٣)</sup> الإجماع على أن لفظ (الشخص) لا يُطلق على الله، مع أن السلف مجمعون على إطلاقه على الله، لكنهم يحكون إجماع المتكلمين؛ لأنهم على طريقتهم.

ولما ذكر القواريري أحاديث إثبات الشخص لله قال: لا أشد على الجهمية من هذه الأحاديث<sup>(٤)</sup>.

(٢) صحيح مسلم (٢١١/٤) رقم (١٤٩٩).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطلال (١٠/٤٤٢).

(٤) مسند أحمد (١٠٦/٣٠).

وفي علماء أهل السنة المعاصرين - والله الحمد - من شرح صحيح البخاري، أما العلماء الماضون المشهورون بشرح صحيح البخاري لا يُعتمد عليهم - في الغالب - لما تقدم تقريره.

وهذا إنما يدل على غربة السنة، فلا بد أن ينبري أناس من أهل السنة ويعتنون بشرح صحيح البخاري، أو على أقل تقدير أن يُعلّقوا على الشروح المشهورة على البخاري ومسلم.

فِيُعَلِّقُوا تعليقات عقدية على هذه الشروح، ثم تُطبع طبعات مناسبة ومميزة وعلى نسخ خطية حتى تصل للناس، فيقتنيها الموافق والمخالف بسبب تميزها، فيُغزى الناس عقدياً بالتعليق على هذه الشروح.

**الأمر الرابع:** يطيل الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ فِي ذكر بعض الأحاديث فيورد حديثاً يبلغ صفحتين والشاهد فيه لفظ واحد، فليس صنيعي من حيث الأصل التعليق على هذه الأحاديث الطويلة مما لا تعلق له بالتوحيد، وإنما أجتهد - بحول الله وقوته - في معرفة مراد البخاري عقدياً وتقرير المسائل العقدية من هذا الكتاب.

**الأمر الخامس:** من المهم لأهل السنة أن يشمروا عن ساعد الجد في دراسة التوحيد والاعتقاد، وأن يُدققوا ويُحققوا مسأله، فإن الحاجة ماسة لذلك، فإنه عند مراجعة بعض شروح المعاصرين لكتاب التوحيد - من غير علمائنا الكبار - وفتت على أخطاء عقدية، فمع أنه بذل جهداً طيباً في شرح الكتاب لكن عنده شيء من الأخطاء العقدية، وهذا مما يدل على أن أهل السنة في حاجة ماسة إلى الجد والاجتهاد

في التدقيق في دراسة مسائل الاعتقاد، وكما قال الإمام الشافعي فيما رواه البيهقي في (المدخل)<sup>(٥)</sup>: من تعلم علمًا فليُدقق لئلا يذهب دقيق العلم.

وأولى ما يُدقق فيه هو التوحيد والاعتقاد، فليجتهد أهل السنة غاية الاجتهاد والتدقيق في دراسة التوحيد والاعتقاد.

---

(٥) المدخل إلى السنن الكبرى (٢/٧٠٣).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

كِتَابُ التَّوْحِيدِ (٦)

بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتُهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

٧٣٧١ - حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ، عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ».

٧٣٧٢ - وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مَعْبُدٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ».

٧٣٧٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، وَالْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ، سَمِعَا الْأَسْوَدَ بْنَ هِلَالٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يُعَدِّبَهُمْ».

٧٣٧٤ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُهَا [ص: ١١٥] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» زَادَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَخْبَرَنِي أَخِي قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٧٣٧٥ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنِ ابْنِ أَبِي هِلَالٍ، أَنَّ أَبَا الرَّجَالِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَهُ عَنْ أُمِّهِ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَتْ فِي حَجْرِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتُمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ».

قوله: (كِتَابُ التَّوْحِيدِ) صدر الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الكتاب بهذا العنوان،

وفي بعض النسخ قال: "باب الرد على الجهمية وغيرهم" (٧).

وإن للجهمية إطلاقين:

(٧) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠ / ٤٠١): «كِتَابُ التَّوْحِيدِ وَالرَّدُ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ»،

و«فتح الباري» لابن حجر (١٣ / ٣٤٤)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٥ / ٨١).

الإطلاق الأول: الجهمية المعروفون الذين لا يُثبتون لله أسماء ولا صفات.

الإطلاق الثاني: على كل مؤوّل، فكل مؤوّل يُقال عنه: جهمي، قال الإمام أحمد في حديث الصورة: من قال: إن الضمير يعود إلى آدم فهو جهمي<sup>(٨)</sup>، وقد ذكر هذه الإطلاقات شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (التسعينية)<sup>(٩)</sup>.

ولفظ (التوحيد) له معنى عند أهل السنة وله معنى عند المخالفين، أما معناه عند أهل السنة فهو: إفراد الله بما يختص به، فإن كان في العبادة فهو توحيد الإلهية، وإن كان في الأسماء والصفات فهو توحيد الأسماء والصفات، وإن كان في أفعال الله فهو توحيد الربوبية.

أما لفظ (التوحيد) عند الطوائف المخالفة؛ فكل منهم عرّفه بالنظر إلى مذهبه ومعتقده الباطل، ومن هذه الطوائف:

الطائفة الأولى: الفلاسفة، والتوحيد عندهم هو: عدم إثبات ما زاد على الماهية المطلقة، فهم يُثبتون إلهًا لا يوجد إلا في الأذهان ولا يوجد في الأعيان، ولازم هذا ألا يُثبتوا لله أسماء ولا صفات.

الطائفة الثانية: الجهمية، وهم قرييون من الفلاسفة في معنى التوحيد، ومقتضى التوحيد عندهم ألا يُثبت لله أسماء ولا صفات.

(٨) إبطال التأويلات (١/ ٨٨)، وبيان تلبيس الجهمية (٦/ ٤١٦).

(٩) التسعينية (١/ ٢٦٥-٢٧١).

الطائفة الثالثة: الجبرية، والتوحيد عندهم ألا يكون للعبد إرادة، فيثبتون لله إرادة دون العبد.

الطائفة الرابعة: القدرية، والتوحيد عندهم أن للعبد إرادة وليس لله إرادة في أفعال العبد. فالله عندهم لم يخلق أفعال العباد، ومن قال: بأن الله خلق أفعال العباد فقد وقع في الشرك. وممن اشتهر من القدرية المعتزلة.

الطائفة الخامسة: الاتحادية، والتوحيد عندهم: إثبات أن الوجود واحد، فالله هو الخالق، والمخلوق هو الله؛ لأنهم يرون أن الوجود شيء واحد، فإثبات شيئين هو الشرك.

وقد ذكر هذه الطوائف ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في (الصواعق المرسلية) <sup>(١٠)</sup> و(مدارج السالكين) <sup>(١١)</sup>.

قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتُهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى) هذا الباب الأول، والمراد منه بيان أن النبي ﷺ دعا أُمَّتَهُ إِلَى التَّوْحِيدِ، والتوحيد الذي دعاهم إليه هو إفراد الله بما يختص به، وكان خلاف نبينا ﷺ مع قومه وكذلك الأنبياء قبله في توحيد الإلهية، لذا دعوا قومهم إلى هذا التوحيد.

(١٠) الصواعق المرسلية (١/٥٧٥-٥٧٨).

(١١) مدارج السالكين (٤/٤٤٥-٤٤٨).

أما كفار قريش فقد ذكر ابن تيمية عنهم في (الحموية) <sup>(١٢)</sup> أنه لا يُعرف عن أحد من العرب قط أنه أنكر صفةً واحدة، أما أسماء الله <sup>(١٣)</sup> فإن العرب يُثبتونها كلها إلا اسم الرحمن، فلما أنكروا اسم الرحمن أنكروا الله عليهم.

قال ابن كثير في تفسيره <sup>(١٤)</sup>، والشيخ سليمان بن عبد الله في (تيسير العزيز الحميد) <sup>(١٥)</sup> -وعبارة الشيخ سليمان بن عبد الله أوضح-: إن العرب لم يُنكروا إلا اسم الرحمن ويُثبتون ما عدا ذلك، وذلك لو أنهم أنكروا غيره لأنكر الله عليهم، فدل على أنهم مُثبتون لأسماء الله إلا اسم الرحمن لما قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ [الفرقان: ٦٠].

قوله: **(«إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُؤَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى...»)** تقدم أن التوحيد بالمعنى العام: إفراد الله بما يختص به، ومما يختص به أسماؤه وصفاته، وهذا الشاهد من إيراد الإمام البخاري لهذا الحديث.

وفي هذا الحديث فائدة، وهي أن أول واجب على المكلف التوحيد خلافاً للمتكلمين القائلين بأن أول واجب على المكلف الشك، ومنهم من يقول: أول واجب النظر، وغير ذلك، فيطالبون المكلف بأن يشك فيكفر ثم يؤمن بالله بعد ذلك، والعياذ بالله.

(١٢) الفتوى الحموية الكبرى (ص ٢٨٣).

(١٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٩٧).

(١٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٦) و(٦/ ١٢٠).

(١٥) تيسير العزيز الحميد (ص ١٩).

قوله: (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ».) هذا صريح في بيان أن حق الله على العباد التوحيد، والمراد هنا توحيد الألوهية لما تقدم أنه المعركة بين الأنبياء والمرسلين مع قومهم.

وقوله: (مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟) وقوله بعد ذلك: (مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟) فأثبت حقاً لله على عباده، وأثبت للعباد حقاً على الله، وأهل السنة يُثبتون أن على الله حقاً وواجباً، لكن يُقيّدون ذلك بقيدين:

القيد الأول: أنه سبحانه هو الذي أوجبه على نفسه.

القيد الثاني: أنه سبحانه أوجبه على نفسه تفضلاً وإنعاماً.

وقد ضلَّ في هذا الباب طائفتان:

الطائفة الأولى: الأشاعرة، فقالوا: ليس على الله حق ولا واجب البتة.

الطائفة الثانية: المعتزلة، فقالوا: على الله حق وواجب، لكنه لم يتفضَّل به، بل هو واجب ومُلزم به - والعياذ بالله -.

وأهل السنة وسط في هذا الباب، وقد بيَّن ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي مواضع من كتبه<sup>(١٦)</sup>، وابن القيم في كتابه: (مفتاح دار السعادة)<sup>(١٧)</sup> وغيره.

(١٦) منهاج السنة النبوية (٦/٣٩٦).

(١٧) مفتاح دار السعادة (٢/١١٣٦).

قوله: (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدُلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» ) قال أبو العباس بن سريج - وهو من أئمة أهل السنة من الشافعية - : "إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ أَثْلَثًا: ثُلُثٌ مِنْهَا أَحْكَامٌ وَثُلُثٌ مِنْهَا وَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَثُلُثٌ مِنْهَا الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ وَقَدْ جُمِعَ فِي قُلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، أَحَدُ الْأَثْلَاثِ وَهُوَ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ ". رواه البيهقي في كتابه: (الأسماء والصفات) (١٨).

وأما ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ كما في (مجموع الفتاوى) (١٩): القرآن ينقسم إلى أقسام ثلاثة؛ توحيد، وقصص، وأحكام، فبذلك صارت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لأنها تتعلق بالتوحيد.

والتوحيد المذكور في سور القرآن كما في أواخر سورة الحشر وإنما تميزت سورة الإخلاص بأنه قد اجتمع فيها اسمان من أسماء الله تعالى وهما: (الصمد) و(الأحد) دون غيرها من السور، والتوحيد كله وكمالها يرجع لهذين الاسمين، فقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢] (أحد): قد بلغ في الإثبات أعلاه، و(الصمد): قد بلغ في نفي النقص أقصاه، فاجتماع هذين الاسمين غاية الكمال.

وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن في قدر الثواب لا في نوع الثواب وصفته، فمن قرأ سورة الإخلاص لا يكون أجره في النوع والصفة كمن قرأ ثلث القرآن وإنما يكون ثوابه مثله في القدر؛ لأن من قرأ ثلث القرآن قد نوع بقراءة أمر ونهي ووعده ووعيد وهكذا... فمثله كمن معه ثلاثة آلاف درهم بقيمة ملابس وطعام وشراب، فمن معه

(١٨) الأسماء والصفات (١/ ١١٠) رقم: «٦٣».

(١٩) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٤)، (١٧/ ٢٠٧).

هذه الملابس والطعام فمعه أشياء متنوعة وصفات مختلفة بخلاف من ليس معه إلا الداهم. كما بين هذا شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٢٠).

**فائدة:** تكرر سورة الإخلاص ثلاثًا لا يعدل أجر قراءة القرآن بل سورة الفاتحة أفضل منها بل كره السلف عند قراءة القرآن كله أن تقرأ أكثر من مرة. قاله ابن تيمية (٢١).  
 قوله: (... «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ») وجه الدلالة من هذا الحديث قوله: (لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ) ففيه إثبات الصفات لله عز وجل، فأهل السنة يُثبتون لله أسماء وصفات.

وقد خالف أهل السنة في الصفات المعتزلة - كما سيأتي - وممن خالف في ذلك ابن حزم، فقال: لا دليل على إطلاق لفظ الصفة على الله (٢٢)! وقد ردَّ عليه ابن حجر في (فتح الباري) (٢٣) بهذا الحديث، وهو نصُّ في إثبات الصفة لله.

ومن الأدلة على إثبات الصفات لله قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢] ذكر

(٢٠) مجموع الفتاوى (١٧/١٣٨، ٢٠٨).

(٢١) مجموع الفتاوى (١٧/١٣٠).

(٢٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٩٥).

(٢٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/٣٥٦).

ابن تيمية في (العقيدة الواسطية) <sup>(٢٤)</sup> وكما في (مجموع الفتاوى) <sup>(٢٥)</sup>: أن الله سبحانه سلم على المرسلين لسلامة ما وصفوا الله به، ونزّه نفسه عن خالفهم، فدلّ على إطلاق الصفات على الله.

ومن الأدلة على إثبات الصفات لله: أن كل اسم من أسماء الله متضمن لصفة، ففي لغة العرب <sup>(٢٦)</sup> إذا قيل: (السميع) فلا بد أن له سمعاً، وإذا قيل: (بصير) فلا بد أن له بصراً.

---

(٢٤) العقيدة الواسطية (ص ٦٠).

(٢٥) مجموع الفتاوى (٣/٤، ٥)، (٦/٣٧).

(٢٦) مختصر الصواعق المرسلّة (ص ٣٦٢).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٢٧) قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الإسراء: ١١٠].

٧٣٧٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، وَأَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ».

٧٣٧٧ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عَنْ أَبِي عُمَرَ النَّهْدِيِّ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ، يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَفْسَمَتْ لِتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدَفِعَ الصَّبِيَّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعَّقَعُ كَأَنَّهَا فِي سَنٍّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا

فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الإسراء: ١١٠]) المراد من هذا الباب إثبات الأسماء لله، فقال:

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]

وهذه الآية فيها رد على الجهمية الذين لا يُثبتون لله الأسماء والصفات، وردُّ على المعتزلة، وذلك أن المعتزلة يُثبتون أسماءً لله لكنهم يقولون: هي أسماء بلا صفات. وحقيقة قولهم عدم إثبات الأسماء لله؛ وذلك أنه إذا قيل: سميع لكن ليس له سمع، فحقيقة هذا القول بأنه ليس سميعاً، فهذه الآية رد على المعتزلة وعلى كل من ينفي الصفات وعلى الأشاعرة الذين نفوا ما عدا الصفات السبع وغيرهم من المؤوِّلة.

وفي الآية أن أسماء الله حسنى، و(حسنى) مؤنث (أحسن)، مثل (كبرى) مؤنث (أكبر)، ومعنى (حسنى) قد بلغت في الحسن أقصاه.

ثم لهذه الأسماء معان، فالرحيم يُشتق منه الرحمة، والسميع يُشتق منه السمع، ولا يلزم من ذلك التشبيه.

ومقتضى أن تكون أسماء الله حسنى أن تتضمن صفات، وما تتضمنه من الصفات لا تُشابه صفات المخلوقين، وهذا الأمر إذا ضُبط وفُهم انفكَّت شبهة هي أصلٌ عند المؤوِّلة جعلتهم يُؤولون الأسماء والصفات.

فإذا قيل للجهمية: لماذا قلتم: إنه ليس لله أسماء ولا صفات؟

قالوا: لئلا نُشبه الله بالمخلوقين.

وإذا قيل للمعتزلة: لماذا لا تقولون إن لله صفات وإنما تُثبتون أسماء بلا صفات؟

قالوا: لئلا لا نُشبه الله بالمخلوقين.

وإذا قيل للأشاعرة والماتريدية: لماذا تؤولون الصفات؟

قالوا: لئلا نُشبه الله بالمخلوقين.

ورد هذه الشبهة أن إثبات الصفات لله لا يلزم منه المشابهة بين الله وخلقه، فلكلِّ صفة تناسبه، فيقال للجهمي: إنك لا تُثبت لله الأسماء والصفات لئلا تُشبهه بالمخلوقين، فلما سلبت الله سبحانه من الصفات شَبَّهته بالعدم، وهذا تشبيه لما هو أسوأ وهو المعدومات.

ثم إنك أيها الجهمي تقول: إن الله موجود، وإن المخلوق موجود فلازم هذا أن تكون مشبهاً، وإلا كما تصوّرت وجوداً يليق بالله ولا يلزم منه التشبيه فتصوره في أسمائه وصفاته.

وكذلك يُقال للمعتزلي: أنت تنفي الصفات لئلا تُشبه الله بالمخلوقين، وفي المقابل تقول: إن الله سميع وإن المخلوق سميع، فثبت اسم السميع لله وتُثبت للمخلوق، ولم يلزم من ذلك التشبيه عندك فمثل هذا يتصور في الصفات.

وهكذا القول في الأشاعرة فيما تأولوه من الصفات، إن ما أثبتوه من الصفات لله كالسمع والبصر وما أثبتوه للمخلوقين من سمع وبصر ولم يلزم منه التشبيه حجة عليهم فيما تأولوه من الصفات كالغضب والرضا... إلخ، فكما تصوّرتهم سمعاً وبصراً لله وللمخلوق ولم يلزم من ذلك التشبيه، فكذلك تصوروا غضباً لله يليق به، ولا يلزم من ذلك التشبيه، وهكذا في بقية الصفات.

ثم كما أثبتتم أسماء الله وأسماء للمخلوقين كالسميع والبصير وغيرهما، ولم يلزم من ذلك التشبيه، فهكذا ما أولتموه من الصفات، وكما أثبتتم ذاتاً لله وذاتاً للمخلوقين ولم يلزم من ذلك التشبيه فهكذا ما أولتموه من الصفات.

وقد لخص هذا ابن تيمية في كتابه: (التدمرية) <sup>(٢٨)</sup>، وبين أن كل المؤولة متناقضون، لذا قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، وقال أيضاً: القول في الصفات كالقول في الذات، وذكر هذا الأخير الخطابي <sup>(٢٩)</sup>، والخطيب البغدادي <sup>(٣٠)</sup> وغيرهما.

قوله: **(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ»)** وجه الدلالة من

جهتين:

الجهة الأولى: أنه أثبت الرحمة لله وللمخلوقين، ولم يلزم من ذلك التشبيه.

الجهة الثانية: أن اسم الرحمن مُستلزم للرحمة، فالأسماء مُستلزمة للصفات.

(٢٨) التدمرية (ص ٣١).

(٢٩) مجموع الفتاوى (٥/٥٨، ٥٩).

(٣٠) ذم التأويل (ص ١٥)، ومجموع الفتاوى (١٢/٥٧٥).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣١) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَنَا اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨].

٧٣٧٨ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨]) هذه قراءة

صحيحة ثابتة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحح إسناده ابن حجر رَحْمَةُ اللَّهِ (٣٢).

والمراد من هذا الباب إثبات اسم الرزاق وما تضمنه من الصفة الفعلية وهو أن الله يرزق، وأنه لا يلزم من ذلك التشبيه، بل الله سبحانه يرزق عباده رزقاً يليق به، والمخلوق يرزق المخلوق رزقاً يناسبه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨].

(٣١) «صحيح البخاري» (١١٥ / ٩)

(٣٢) فتح الباري لابن حجر (٦٠١ / ٨) و(٣٦٠ / ١٣).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٣) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} [الجن: ٢٦] و{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] و{أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} [النساء: ١٦٦] {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} [فاطر: ١١] {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ} [فصلت: ٤٧].

قَالَ يَحْيَى: {الظَّاهِرُ} [الحديد: ٣]: «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا»، {وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣]: «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا».

٧٣٧٩ - حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي عَدِ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ ".

٧٣٨٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ مَسْرُوقٍ، عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ»: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] «وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ»: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ".

قوله: **(بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} [الجن: ٢٦])**  
 في هذا إثبات صفة العلم لله، وعلم الله شاملٌ للماضي والحاضر والمستقبل، قال  
 سبحانه: **{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}** [البقرة: ٢٥٦] **{مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}**: الماضي،  
 و **{وَمَا خَلْفَهُمْ}**: الحاضر والمستقبل.

وعلم الله سبحانه شاملٌ لما لم يكن لو كان كيف سيكون، قال سبحانه: **{وَلَوْ  
 رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}** [الأنعام: ٢٨].

وعلم الله سبحانه شاملٌ للممتنعات قال سبحانه: **{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ  
 لَفَسَدَتَا}** [الأنبياء: ٢٢].

وعلم الله سبحانه شاملٌ لعلم الغيب المطلق وهو علم المستقبل وهو خاص بالله،  
 وعلم الغيب الجزئي وهو علم الماضي مما يعلمه بعض المخلوقين دون بعض، وهذا  
 ليس خاصاً بالله، وهذا ما قرره ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ (النبوات) (٣٤)** وإن لم يسمه  
 بالمطلق والجزئي، وعلم الغيب المطلق هو ما في المستقبل، وهذا العلم لا يعلمه إلا  
 الله ومن يُظهر على ذلك من رسله سواء كان الرسول ملكياً أو بشرياً، قال سبحانه:  
**{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ}** [الجن: ٢٦-٢٧].

أما علم الغيب الجزئي فهو علم الغيب الحاضر والماضي مما يعلمه بعض  
 الخلق دون بعض، فإن أحدنا لا يعلم ما يجري في بيته وإن كان أهله بالبيت يعلمون  
 ما يجري عندهم فهذا علم غيب جزئي.

(٣٤) النبوات لابن تيمية (١/١٤٨) (٢/١٠٢١، ١٠٢٢).

قوله: (قَالَ يَحْيَى: {الظَّاهِرُ} [الحديد: ٣]: «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا»، {وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣]: «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا») في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مسلم: «الظاهر الذي ليس فوقه شيء»<sup>(٣٥)</sup>، وهذا من أدلة علو الله، كما ذكر ذلك مقاتل بن حيان<sup>(٣٦)</sup>، وابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه: (طريق الهجرتين)<sup>(٣٧)</sup> وغيره.

والباطن: أي الذي ليس دونه شيء، والباطن من أدلة القرب، كما ذكر هذا أيضًا مقاتل بن حيان<sup>(٣٨)</sup>، وابن القيم<sup>(٣٩)</sup>، وكلام ابن القيم شامل حتى للمعية.

قوله: (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ ").

بدلالة الحديث اختص الله بعلم هذه الخمس، وما يعرف عن طريق الرؤى والفراسة لا يعارض الحديث؛ لأنه ظن وليس علمًا. ذكره ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ فِي شرحه على البخاري<sup>(٤٠)</sup> وأيضًا نقله عن القرطبي وأقره<sup>(٤١)</sup>، والشاطبي في الموافقات<sup>(٤٢)</sup>.

(٣٥) صحيح مسلم (٧٨ / ٨) رقم (٢٧١٣).

(٣٦) الأسماء والصفات للبيهقي (٣٤٢ / ٢) رقم: «٩١٠».

(٣٧): «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (١ / ٤٨، ٣٩)، وتهذيب سنن أبي داود (٣ / ٢٦٠).

(٣٨) المصدر السابق.

(٣٩) المصدر السابق.

(٤٠) فتح الباري لابن رجب (٩ / ٢٦٩).

(٤١) فتح الباري لابن رجب (١ / ٢١٦).

(٤٢) الموافقات (٤ / ٤٧٠-٤٧٣).

قوله: (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ»): {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] معنى لا تدركه الأبصار أي لا تراه الأبصار، وهذا هو تفسير عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما في هذا الحديث.

ولم أر شيئاً ثابتاً عن الصحابة يُخالف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أما تفسير الإدراك بمعنى الإحاطة، فيكون معنى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي لا تُحيط به، فهذا لم أر شيئاً فيه ثابتاً عن الصحابة، وقد نقله بعض أهل العلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا<sup>(٤٣)</sup>، والذي رأيت في تفسير ابن أبي حاتم<sup>(٤٤)</sup> وغيره أنه من كلام عكرمة وليس من كلام ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم إسناده عند ابن أبي حاتم ضعيف.

فتفسير الصحابة لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي لا تراه، لا أن معناه لا تُحيط به، وقد ذهب إلى هذا الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في رده على بشر المريسي<sup>(٤٥)</sup>، ففسر الإدراك بمعنى الرؤية.

وخالف بعض أئمة السنة كابن خزيمة<sup>(٤٦)</sup> وابن تيمية<sup>(٤٧)</sup> وذهبوا إلى أن الإدراك بمعنى الإحاطة، لكن التفسير الثابت من قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الإدراك بمعنى الرؤية، أي لا تراه الأبصار في الدنيا وذلك للأدلة الكثيرة على رؤية الله في الآخرة كما سيذكره

(٤٣) تفسير الطبري (٩/٤٥٩).

(٤٤) تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٣٦٣) رقم «٧٧٣٧»، والسنة لابن أبي عاصم (١/١٨٩).

(٤٥) نقض الدارمي على المريسي (ص ١٣٠، ٢٨٧).

(٤٦) التوحيد لابن خزيمة (٢/٤٥٨).

(٤٧) منهاج السنة النبوية (٢/٣١٧)، ومجموع الفتاوى (٣/٣٦).

المصنف، وعن عمر بن ثابت الأنصاري عن بعض الصحابة أنه قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ» رواه مسلم <sup>(٤٨)</sup>.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

باب (٤٩) قول الله تعالى: ﴿السلام المؤمن﴾.

٧٣٨١ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ، حَدَّثَنَا شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنَّا نَصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَقُولُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ".

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿السلام المؤمن﴾) فيه إثبات اسمين: اسم السلام واسم المؤمن، والمراد إثبات هذين الاسمين لله وما تضمنه هذان الاسمان فتضمن اسم السلام السلامة للعباد وتضمن اسم المؤمن: تأمين العباد.

قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ...) فيه السلام على فلان: أي على فلان اسم الله السلام المتضمن الدعاء له بالسلامة، لأجل هذا لا يُدعى لله بالسلامة، بل هو السلام المُسلم لغيره سبحانه، وإنما يُدعى للمخلوقين: (السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ).

ويشتق من اسم السلام السلامة للمخلوقين، فأسماء الله يُشتق منها معانٍ، وهذا خلاف قول المعتزلة، ولا يلزم إذا أطلق على المخلوق اسم ألا يطلق على الخالق، بل لكل ما يليق به كما تقدم بيانه.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٥٠) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {مَلِكِ النَّاسِ} [الناس: ٢] فِيهِ ابْنُ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٧٣٨٢ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ هُوَ ابْنُ الْمُسَيْبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " يَتَّبِعُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ " وَقَالَ شُعَيْبٌ، وَالزُّبَيْدِيُّ، وَابْنُ مُسَافِرٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ مِثْلَهُ.

قوله: (فِيهِ ابْنُ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) هذا سيأتي وهو مثل ما ذكره من حديث أبي

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي بعده.

قوله: (ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ) فيه إثبات اسم الملك لله، ويُشتق

من قوله: «أنا الملك» المُلك، ثم المُلك يثبت للمخلوقين، لكن لكل مُلك يليق به، لذا يقول: «أين ملوك الأرض» فأثبت المُلك لأهل الأرض ولم يلزم من إثبات هذا للمخلوقين أن يُنفى عن الله.

فيلاحظ في هذه الأبواب إثبات الاسم وما تضمن من معنى ثم ما تضمنه من

المعنى قد يكون للمخلوقين لكن لا يلزم من ذلك التشبيه.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٥١) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: ٤] {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الصافات: ١٨٠] {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ} [المنافقون: ٨] وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ.

وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "تَقُولُ جَهَنَّمَ: قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ" وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "يَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا" قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [ص: ١١٧] قَالَ: "قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ" وَقَالَ أَيُّوبُ: «وَعِزَّتِكَ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

٧٣٨٣ - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْمُعَلَّمِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ».

٧٣٨٤ - حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَزَالُ يُلْقَى فِي النَّارِ» ح وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، وَعَنْ مُعْتَمِرٍ سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ

قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ، حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ".

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: ٤]) في هذا إثبات اسم العزيز، وقوله: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) أي صاحب العزة سبحانه، ثم قال: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ) فأثبت العزة للمخلوق وهو النبي ﷺ.

فإذن إثبات ذلك للخالق وإثباته للمخلوق لا يلزم منه التشبيه.

قوله: (وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ) فيه جواز الحلف بصفات الله، وقد أجمع أهل العلم على جواز الحلف بصفات الله، حكى الإجماع ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: (مدارج السالكين) (٥٢)، وهذا شامل للصفات الفعلية والصفات الذاتية.

قوله: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "تَقُولُ جَهَنَّمَ: قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ") الشاهد أن جهنم أقسمت بعزة الله، ووجه إيراد هذا أن اسم العزيز تضمن صفة العزة، فيلاحظ أن البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يكرر هذا وهو أن الاسم يتضمن الصفة، وأن هذه الصفة إذا كانت في المخلوق فلا يلزم منها التشبيه، وكل هذا رد على الجهمية والمعتزلة.

قوله: (وَقَالَ أَيُّوبُ: «وَعِزَّتِكَ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَّتِكَ») وجه الدلالة: أن أيوب أقسم بصفة العزة.

قوله: **(«أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»)** في هذا الاستعاذة بعزة الله سبحانه وتعالى.

قوله: **(« لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ، حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ »)** الشاهد أن اسم العزة تضمن صفة العزة.

وقوله: **(«حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ»)** في هذا أمران:

**الأمر الأول:** أن القدم يُثبت لله، والقدم والرجل بمعنًى واحد كما يدل عليه صنيع أهل السنة كالدارمي<sup>(٥٣)</sup> وغيره، لذلك جاءت رواية بذكر القدم ورواية بذكر الرجل<sup>(٥٤)</sup>، ثم الله سبحانه قدمان؛ لما ثبت عند الدارمي عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أنه قال: **"الكرسي موضع القدمين"**<sup>(٥٥)</sup>.

**الأمر الثاني:** قوله: **(«حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ»)** هذا حديث أنس، والمراد في النار، وحديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في الصحيحين: **«عليها قدمه»**<sup>(٥٦)</sup>، وبين ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** أن الله لا يضع قدمه داخل النار بل على النار، و(في) هنا بمعنى (على)، وعزاه

(٥٣) «نقض الدارمي على المريسي» (ص ٣١١).

(٥٤) صحيح البخاري (١٣٨/٦) رقم (٤٨٥٠)، وصحيح مسلم (١٥١/٨) رقم (٢٨٤٧).

(٥٥) نقض الدارمي على المريسي (ص ١٤٦).

(٥٦) صحيح البخاري (١٣٨/٦) رقم (٤٨٤٩)، وصحيح مسلم (١٥١/٨) رقم (٢٨٤٦).

لأهل السنة<sup>(٥٧)</sup>، ويدل لذلك أن جهنم تمتلئ بأهلها، ولو وضع رب العزة فيها قدمه لامتلأت بقدمه سبحانه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] فهي تمتلئ بأهلها، وكذا الروايات يُفسر بعضها بعضاً، فجاءت الرواية الثانية بأن معناها (عليها).

فمما تقدم يُعلم إثبات الاسم وما تضمنه من الصفة، وأن هذه الصفة قد تكون للمخلوقين ولا يلزم من ذلك التشبيه.

مسألة: العلاقة بين الألفاظ أربع كما ذكره جمع من أهل العلم منهم الغزالي في كتابه: (معيار العلم)<sup>(٥٨)</sup>:

العلاقة الأولى: علاقة الترادف، وهو الاتفاق في المسمى مع الاختلاف في الاسم، كقول: (سيف) و(حسام) و(مهند)، فانفقت في المسمى واختلفت في الاسم.  
العلاقة الثانية: علاقة التباين، وهو ألا تتفق لا في الاسم ولا في المسمى، كقول: (سماء) و(أرض) و(شجر) و(حجر).

العلاقة الثالثة: علاقة الاشتراك، وهو الاتفاق في الاسم مع الاختلاف في المسمى، كقول: (عين) وتُطلق على العين الباصرة، وعلى عين الماء، وعلى الجاسوس، وعلى عين الذهب، فكلها تسمى عيناً، فانفقت في الاسم واختلفت في المسمى، وليس بين معانيها أي اتفاق حقيقي.

(٥٧) «جامع المسائل لابن تيمية» (٣/ ٢٤٠).

(٥٨) معيار العلم في فن المنطق (ص ٨١).

العلاقة الرابعة: علاقة التواطؤ، وهو أن تتفق الأفراد في اسم عام وتكون تحت اسم كلي، كقول: (رجل) فهذا اسم كلي يشترك فيه زيد وعمرو وخالد وفهد، فيشتركون في الرجولة، وإن كانوا في أفراد القيام بالرجولة مختلفين.

والعلاقة بين صفاتنا وصفات الله علاقة تواطؤ بإجماع أهل السنة، ذكر هذا ابن تيمية في (بيان تلبس الجهمية) <sup>(٥٩)</sup> وغيرها.

وذلك أن أهل السنة يقولون: إن الله سميع والمخلوق سميع، فيشتركون في إدراك المسموعات، وإن كان هناك فرق بين سمع الله وسمع المخلوق. قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال سبحانه عن المخلوق: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] فلكل سمعه، وكل يحصل له إدراك المسموعات وإدراك المبصرات، فاشتركا في هذا المعنى.

ويحاول بعض أهل البدع كالأشاعرة أن ينكروا هذا وهم متناقضون، وذلك أنهم يثبتون السمع للخالق والمخلوق، ومقتضاه أنهم يثبتون أن الجميع يدرك المسموعات، فإذا تقرر أن كليهما يسمع، ولكل سمع يليق به، فكيف ينكرون هذا على أهل السنة في بقية الصفات؟

تنبهان:

(٥٩) بيان تلبس الجهمية (٢/ ٣٨٧، ٣٨٨) و(٤/ ٣٧٠، ٣٧١) و(٧/ ٤١٨، ٤١٩).

التنبية الأول/ ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في مواضع كثيرة ككتابه (التدمرية) (٦٠) وغيره (٦١)، أنه إذا كان بين أفراد التواطؤ تغاير واختلاف كبير فيُعبر عنه بالمُشكك؛ وذلك أن الناظر إليه يظنه من المشترك -وهي علاقة اشتراك- لشدة الفرق بين الفردين، وإن كان في الحقيقة علاقة تواطؤ.

وهذا كنور المصباح ونور الشمس، فالعلاقة بينهما تواطؤ فكلاهما نور، لكن لشدة الفرق بينهما يظن الظان أنه ليس للمصباح نور، وهذا كسمع الله وسمع المخلوقين، فالعلاقة علاقة تواطؤ، والكل يسمع لكن لشدة الفرق بينهما يظن الظان أن المخلوق لا يسمع، وأن العلاقة علاقة اشتراك لا علاقة تواطؤ لذلك يسمى مشككاً، أي بين التواطؤ والاشترك.

التنبية الثاني: القول بالتواطؤ معناه أن بين الصفتين اشتراكاً في أصل الصفة إلا أن هذا الاشتراك في الأذهان لا في الأعيان؛ لأنه ليس بين الله وخلقه تشابه، ذكر هذا ابن تيمية (٦٢) وابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (٦٣).

(٦٠) التدمرية (ص ١٢٩).

(٦١) الجواب الصحيح (٤/٤٢٥) مجموع الفتاوى (٩/١٤٧).

(٦٢) منهاج السنة النبوية (٨/٣٥).

(٦٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/٦٢-٦٤).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٦٤) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ}.

٧٣٨٥ - حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ»، حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهَذَا، وَقَالَ: «أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ}) يُشِيرُ

إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣] والمراد بقوله الحق

ما ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

قوله: **(أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَوْلِكَ الْحَقُّ)** هذا هو الشاهد (قولك الحق)، والمراد به ما تقدم، [يس: ٨٢] فخلق المخلوقات بـ(كن) سبحانه وتعالى، وقد بيّن هذا الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْبُخَارِيِّ (٦٥)**.

والنور اسمٌ لله، وقد رأيت العلماء متواردين على إثبات النور اسمًا لله، كما ذكره الخطابي <sup>(٦٦)</sup> والزجاجي <sup>(٦٧)</sup> والبيهقي <sup>(٦٨)</sup> والحليمي <sup>(٦٩)</sup> وشيخ الإسلام ابن تيمية، بل قال ابن تيمية في (يان تليس الجهمية) <sup>(٧٠)</sup>: إن الجهمية يُثبتون اسم النور، ذكره ابن تيمية لما نقل كلام الإمام أحمد في رده على الزنادقة والجهمية في كلام بينه وبين الجهمي، وفيه إثبات اسم النور.

وقد عجبت لبعض المعاصرين يُنكرون اسم النور، مع أن الأدلة ظاهرة في إثبات اسم النور، فالنور اسمه وصفته وخلقته، وقد بيّن هذا ابن تيمية في (بيان تليس الجهمية) <sup>(٧١)</sup>، وابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية) <sup>(٧٢)</sup> وفي غيرها من كتبه **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

(٦٥) فتح الباري لابن حجر (٣٧١ / ١٣).

(٦٦) شأن الدعاء (٩٥ / ١).

(٦٧) اشتقاق أسماء الله (ص ١٨٢).

(٦٨) الأسماء والصفات للبيهقي (٢٠٠ / ١).

(٦٩) المنهاج في شعب الإيمان (٢٠٧ / ١).

(٧٠) بيان تليس الجهمية (٤٩٣ / ٥).

(٧١) بيان تليس الجهمية (٨٦ - ٦٦ / ٨).

(٧٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٨).

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] هذا اسمه، أما صفته: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٧] أما خلقه ما أخرج مسلم من حديث أبي موسى: «حجابه النور»<sup>(٧٣)</sup>، وما أخرج مسلم عن أبي ذر مرفوعاً: «نور أنى أراه»<sup>(٧٤)</sup>، كما بين ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٧٥)</sup>.

ومعنى اسم النور مبحث دقيق؛ وذلك أنه لا بد أن يُفسر بتفسير يتعدى إلى غيره، كالسماوات والأرض وما بينهما، ولا يمكن أن يفسر النور بالنور الحسي؛ لأن الليل ليس منوراً حسيّاً، فلا بد أن يُفسر بمعنى متعدٍ ولا يمكن أن يُفسر بالنور الحسي.

يفسر بالهادي، كما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بإسناد فيه ضعف<sup>(٧٦)</sup>، لكن المعنى صحيح، فالله نور السماوات والأرض أي هادي السماوات والأرض، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] فهدي الحيوانات والإنسان والجمادات، هدى الشمس بأن تسير مسيرها والقمر بأن يسير مسيره، إلى آخره.

وقد أنكره بعض أهل العلم لكن في إنكاره نظر، وذلك أنه الذي رأته عن السلف فإنهم يفسرون النور بالهادي، وهو شامل للمخلوقات كلها سواء كانت أحياء كالإنسان والحيوانات أو أمواتاً كالجمادات، فإنه يهدي الشمس في مسيرها والقمر في مسيره... إلخ.

(٧٣) صحيح مسلم (١/ ١١١) رقم (١٧٩).

(٧٤) صحيح مسلم (١/ ١١١) رقم (١٧٨).

(٧٥) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٨).

(٧٦) تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٥)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٠١).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٧٧) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ١٣٤]

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ تَمِيمٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١].

٧٣٨٦ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي عُمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ: «ارْبَعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا»، ثُمَّ أَتَى عَلِيًّا وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ [ص: ١١٨] وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، - أَوْ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ بِهِ -».

٧٣٨٧ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَغْفِرَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

٧٣٨٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُوسُفُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حَدَّثَتْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنْ جَبْرِيَلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَادَانِي قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ " .

قوله: (عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١]) هذا يؤكد ما تقدم ذكره، من إثبات هذين الاسمين وإثبات ما دلَّ عليهما من معنى، لذلك قالت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ) في إثبات معنى هذا الاسم.**

وفي هذا ردُّ على الجهمية والمعتزلة، أما الجهمية فواضح، أما المعتزلة لما قالوا: إن إثبات الاسم لا يُشتق منه الصفة، وفيه رد على المفوضة، فإن المفوضة قالوا: هذه الأسماء ليست لها معانٍ، فإن معناها مجهول، وعائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ذكرت هذا عند الآية وعند قصة المُجادلة، فدل على أن معنى السميع الذي يسمع سبحانه.

وأؤكد أن في هذا إثبات اسم السميع وما تضمنه من صفة السمع وأن حصول هذا للمخلوقين لا يلزم منه التشبيه، وقد تقدم البحث.

لكن يرد هاهنا بحث دقيق؛ وهو هل السمع والبصر من الصفات الفعلية أو الذاتية؟

لابن تيمية كلام يدل على أنه صفة ذاتية باعتبار وصفة فعلية باعتبار<sup>(٧٨)</sup>، فهو سبحانه يسمع وليس أصم، ويُبصر وليس أعمى، بهذا الاعتبار تكون صفة ذاتية بالنظر إلى أصل السمع والبصر، أما كونها فعلية فيسمع لفلان ولا يسمع لفلان على وجه الرحمة والرضى.

(٧٨) «مجموع الفتاوى» (٦ / ٢١٧)، (١٢ / ١٥٨).

ولابن تيمية في المجلد الثالث عشر كما في (مجموع الفتاوى) <sup>(٧٩)</sup> كلام يدل على أن السمع والبصر صفة فعلية لا ذاتية، وقال: إن الله لا ينظر إلى فلان وفلان، أي لا يبصره مطلقاً فجعل النظر راجعاً إلى المشيئة.

والأمر في هذا سهل فإذا أثبت السني صفة السمع بمقتضى الدليل، ولم يُنازع في أن من سمعه ما يرجع إلى مشيئته، فإن الأمر في ذلك سهل؛ لأن الأشاعرة يقولون: إن الله سميع بصير، لكن يُخالفون أهل السنة فيهما، ومؤدى مخالفتهم أنهم لا يُثبتون السمع والبصر، فيُخالفون أهل السنة فيما يلي:

الأمر الأول: في دليل الإثبات، فدليل الإثبات عندهم العقل لا النقل، أما أهل السنة فالدليل عندهم النقل، والعقل تبعاً.

الأمر الثاني: أهل السنة يُثبتون سمعاً قديماً بقدوم الله، وأن السمع يتجدد بحسب الحوادث، ومثل ذلك بصره سبحانه، أما الأشاعرة فيُثبتون سمعاً قديماً لا يتجدد خلافاً لأهل السنة الذي يقولون: قديم النوع حادث الآحاد. ومؤدّى قول الأشاعرة أنهم يُرجعون السمع والبصر إلى العلم وهو نفي صفة السمع والبصر، فرجع قولهم إلى قول المعتزلة، وقد اعترف بهذا بعض من الأشاعرة <sup>(٨٠)</sup>.

وهذا يؤكد أن الأشاعرة مخالِفون لأهل السنة مخالفة كبيرة في باب الاعتقاد.

(٧٩) مجموع الفتاوى (١٣/١٣٢).

(٨٠) انظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص ١٧٣)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/ ١١٥، ٢٤٤).

قوله: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا**» (القرب عند أئمة السنة الأوائل قُربان: قُربُ عام وقُربُ خاص، أما القرب الخاص كهذا الحديث ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] أما القُرب العام فقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] والمراد قُرب الله سبحانه لا الملائكة.

وهذا الذي رأيتُه لأئمة السنة الأوائل كإسحاق بن راهويه، وهو الذي ذكره حرب الكرماني في كتابه: (السنة)<sup>(٨١)</sup> وقد ذكر أنه أخذ اعتقاده في كتاب السنة عن الإمام أحمد وإسحاق والحميدي، وذكره غيره من أئمة السنة، فإذن قرب الله نوعان خاص وعام مثله مثل المعية.

قوله: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفُرْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَغْفِرَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ») وجه الدلالة من هذا الحديث أن فيه دعاء الله، والدعاء لا يكون إلا لمن يسمع.

(٨١) كتاب السنة من مسائل الإمام حرب الكرماني (ص ٣٩)، وإجماع السلف في الاعتقاد كما حكاه حرب الكرماني (ص ٥٦، ٥٧).

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ (٨٢) قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ} [الأنعام: ٦٥]

٧٣٩٠ - حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عَيْسَى، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْمَوَالِي، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ، يُحَدِّثُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ السَّلْمِيُّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: " إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ - ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ - خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - قَالَ: أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ " .

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ} [الأنعام: ٦٥]) في هذا إثبات صفة

القدرة وأنها عامة، وهو ردٌ على القدرية الذين يرون أن قدرة الله لا تشمل أفعال المخلوقين، فيقولون: العبد يخلق فعل نفسه، وفعله ليس داخلًا تحت قدرة الله، وقد

أطال البخاري الرد على هؤلاء القدرية ومنهم المعتزلة في (خلق أفعال العباد) <sup>(٨٣)</sup>، وكذلك كرر الرد عليهم في هذا الكتاب في أكثر من موضع.

قوله: **(فَأَقْدِرُهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي)** وقوله: **(وَأَقْدِرْ لِي الْخَيْرَ)** فيه إثبات القدرة.

وفي هذا الحديث من الفوائد: جواز التوسل بالصفة، فإنه قال: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ)** فإن التوسل عبادة ولا يُتوسَّل إلا بما ثبت الدليل به، وثبت الدليل بأمر ثلاثة كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية في (قاعدة في التوسل والوسيلة) <sup>(٨٤)</sup> و(الرد على البكري) <sup>(٨٥)</sup> وغيرهما من كتبه وهي:

**(٨٣)** خلق أفعال العباد للبخاري (ص ٤٦).

**(٨٤)** قاعدة جلية في التوسل والوسيلة (٩٦/١)، (١١٥/١)، (١٠٣/١)، (١٢٢/١).

**(٨٥)** الاستغاثة في الرد على البكري (ص ١١٤).

قال شيخ الإسلام: أن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين، فهل يقول مسلم: يا كلام الله اغفر لي وارحمني وأغثني أو أعني، أو: يا علم الله، أو: يا قدرة الله، أو: يا عزة الله، أو: يا عظمة الله ونحو ذلك

**وقال (ص ٢٦٩):** ولا يشرع لأمته أن يتوسلوا إلى الله بذات ميت أصلاً؛ بل ولا بذات حي، إلا أن يكون

التوسل بما أمر الله به من الإيمان به وطاعته، أو بدعاء المتوسل به وشفاعته، فأما إذا لم يكن المتوسل يتوسل بما أمر الله به؛ ولا بدعاء الداعي له فليس هناك وسيلة شرعها الله ورسوله. فإذا كان النبي والرجل الصالح له عند الله من الجاه والقدر والحرمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهذا لا ينتفع المتوسل به إلا بأحد وجهين: إما أن يتوسل المتوسل بما أمر الله به من الإيمان به ومحبه وطاعته وموالاته والصلاة عليه والسلام ونحو ذلك، فهذه هي الوسيلة التي أمر الله بها في قوله: **﴿اتَّقُوا اللَّهَ**

**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾** [المائدة: ٣٥].

**الأمر الأول:** التوسل بأسماء الله وصفاته، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ومن أدلة التوسل بالصفة قوله في الحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ».

**الأمر الثاني:** التوسل بدعاء الرجل الصالح، ثبت في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً دخل المسجد فقال للنبي ﷺ: قد هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله لنا (٨٦).

**الأمر الثالث:** توسل الرجل بأعماله الصالحة، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦] وقصة أصحاب الغار كما في الصحيحين من حديث ابن عمر (٨٧).

فالتوسل لم يأت إلا في هذه الثلاثة، فعلى هذا التوسل بجاه النبي ﷺ بدعة؛ لأنه لم يرد به دليل، والأصل في الباب التوقيف، فإن الأصل في العبادات الحظر والمنع.

---

فالسيلة تجمعها طاعة الرسول؛ فكل وسيلة طاعة للرسول، وكل طاعة للرسول وسيلة، و{مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: ٨٠] {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩].

الوجه الثاني: أن يدعو له الرسول، فهذه أيضًا مما يتوسل به إلى الله -تعالى-، فإن دعاءه وشفاعته عند الله من أعظم الوسائل، فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب ولا مستحب ولا الرسول دعا له؛ فليس في عظم قدر الرسول ما ينفعه.

(٨٦) صحيح البخاري (٢٨/٢) رقم (١٠١٣)، وصحيح مسلم (٢٤/٣) رقم (٨٩٧).

(٨٧) صحيح البخاري (٧٩/٣) رقم (٢٢١٥)، وصحيح مسلم (٨٩/٨) رقم (٢٧٤٣).

وقد ذكر بعض علمائنا قسمًا رابعًا وهو التوسل بالإيمان، وهذا يرجع إلى الأعمال الصالحة، ومنهم كالسهسواني في صيانة الإنسان<sup>(٨٨)</sup> زاد قسمًا خامسًا التوسل بربوبية الله، كقول: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وهذا يرجع إلى صفات الله، أي مُربِّي العباد، فما ذكر شيخ الإسلام من التوسل في هذه الثلاثة دون غيرها هو الصواب، ومن تأمل ما يُذكر مما يزداد على هذه الثلاثة وجدها ترجع لها.

---

(٨٨) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص ١٩٩، ٢٠٠).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٨٩) مُقَلَّبِ الْقُلُوبِ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ} [الأنعام: ١١٠]

٧٣٩١ - حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ

سَالِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْلِفُ: «لَا وَمُقَلَّبِ الْقُلُوبِ».

قوله: (بَابُ مُقَلَّبِ الْقُلُوبِ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ})

وجه الدلالة من هذا الباب: هو أن الله يهدي عباده، فمن اهتدى فهو بفضله ومن ضل فهو بذنبه، لكن الله يهدي ويضل سبحانه، فبهذا يكون الله قد خلق أفعال العباد وله قدرة على أفعال العباد هدايةً وضلالةً، ففيه رد على القدرية ومنهم المعتزلة الذين يقولون إن الله لم يخلق أفعال العباد.

فإذا كان الله يُقَلِّبُ القلوب ويضلهم بعدله سبحانه، فله تصرف في أفعال العباد، وهذا خلاف قول القدرية الذين يقولون لم يخلق أفعال العباد فلا يتصرف فيها.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٩٠): إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {ذُو الْجَلَالِ} [الرحمن: ٢٧] «العَظْمَةُ»، {الْبُرِّ} [البقرة: ١٧٧] «اللَّطِيفُ».

٧٣٩٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» أَحْصَيْنَاهُ: حَفِظْنَاهُ.

قوله: (بَابُ: إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا) هذا الباب صريح في الرد على الجهمية الذين لا يُثبتون الأسماء، ومقتضاه ردُّ على المعتزلة؛ لأنهم يُثبتون الأسماء بلا صفات، ومقتضاه أنهم لا يُثبتون الأسماء كما تقدم، ويتضمن الرد على الأشاعرة الذين لا يُثبتون من الصفات إلا سبعا؛ لأن لازم إثبات بقية الأسماء إثبات الصفات المتضمنة لها. وهو رد من باب أولى على الفلاسفة لعدم إثباتهم شيئا من الأسماء والصفات، لكن أكثر كلام أئمة السنة ردُّ على الجهمية كما تقدم.

وهذا الحديث لا يفيد الحصر للأسماء في هذا العدد كما نص عليه جمع من العلماء كالخطابي <sup>(٩١)</sup> رَحِمَهُ اللهُ وابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى) <sup>(٩٢)</sup>، وابن القيم <sup>(٩٣)</sup>، وغيرهم من أهل العلم <sup>(٩٤)</sup> لما يلي:

الدليل الأول: أنه لا دليل على حصرها بعدد، ومن أراد أن يدعي أنها محصورة في عدد فيلزمه الدليل، ولا دليل على ذلك.

أما ما أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» <sup>(٩٥)</sup>، فليس معنى الحديث حصر عدد الأسماء في التسعة والتسعين، وإنما قوله: «أحصاها دخل الجنة» هذا مكمل وتمة وليست جملة مستقلة، كقول القائل: عندي مائة مملوك أعددتهم للجهاد، ليس معناه أنه ليس عنده إلا المائة، فقول "أعددتهم للجهاد" مكملة لا جملة مستقلة، وقد بين هذا بجلاء وابن تيمية في الدرء <sup>(٩٦)</sup> وابن القيم في كتابه (بدائع الفوائد) <sup>(٩٧)</sup>، وشيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في كتابه (القواعد المثلى) <sup>(٩٨)</sup>.

(٩١) شأن الدعاء (ص ٢٣-٢٤).

(٩٢) مجموع الفتاوى (٦/٣٨٠-٣٨١).

(٩٣) شفاء العليل (٢/٣٦٧).

(٩٤) «درء تعارض العقل والنقل» (٣/٣٣٢)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١١/٢٢٠).

(٩٥) صحيح البخاري (٣/١٩٨) رقم الحديث (٢٧٣٦)، ومسلم (٨/٦٣) رقم الحديث (٢٦٧٧).

(٩٦) «درء تعارض العقل والنقل» (٣/٣٣٢).

(٩٧) بدائع الفوائد (١/٢٩٤).

(٩٨) القواعد المثلى (ص ١٤).

الدليل الثاني: أن العلماء مجمعون على أن أسماء الله غير محصورة بعدد، ذكر الإجماع النووي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في شرحه على مسلم<sup>(٩٩)</sup> وابن القيم في (بدائع الفوائد)<sup>(١٠٠)</sup>، وخالف ابن حزم<sup>(١٠١)</sup>، -وليس غريباً على ابن حزم أن يخالف فإنه من الظاهرية، ومن القواعد المتقررة والتي قررها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة)<sup>(١٠٢)</sup> في المجلد الخامس: أن كل قول تفردت به الظاهرية فهو خطأ، فابن حزم محجوج بأقوال العلماء قبله-.

فقول ابن حزم إنها محصورة في تسعة وتسعين بناءً على هذا الحديث قول محدث مخالف لإجماع أهل العلم، ثم الحديث محتمل لما قال: «**إن الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**»، قول: «**من أحصاها**» يحتمل أنه مكمل ويحتمل أنه جملة مستقلة، وعلى القول بأنه مكمل لا يفيد الحصر، وعلى القول بأنه جملة مستقلة يفيد الحصر، فلما كان محتملاً لم يصح لابن حزم أن يستدل به، فإنه إذا توارد الاحتمال بطل الاستدلال.

الدليل الثالث: أخرج مسلم عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أن النبي **ﷺ** كان يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»<sup>(١٠٣)</sup>، الشاهد قوله: «**لا أحصي ثناءً عليك**»، استدل بهذا

(٩٩) شرح النووي على مسلم (٥ / ١٧)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٢٢٠) وأقره.

(١٠٠) بدائع الفوائد (١ / ٢٩٤).

(١٠١) المحلى بالآثار (١ / ٥٠).

(١٠٢) منهاج السنة النبوية (٥ / ١٧٨).

(١٠٣) صحيح مسلم (٢ / ٥١) رقم: (٤٨٦).

شيخ الإسلام ابن تيمية <sup>(١٠٤)</sup> وابن القيم <sup>(١٠٥)</sup>، لأنه قال: «لا أحصي ثناءً عليك»، ومن ذلك الثناء عليه بأسمائه، وهذا الدليل يصح تبعًا.

**الدليل الرابع:** أخرج الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الشفاعة الطويل قال: «فأسجد فأحمد ربي بمحامد تُفتح علي، لم يحمد قبل بها» <sup>(١٠٦)</sup>، فدل أنه يحمده بأشياء يحبها الله ومن ذلك أسماءه، وقد استدل بهذا ابن القيم في كتابه (بدائع الفوائد) <sup>(١٠٧)</sup>، وهذا الدليل يصح اعتضادًا.

**تنبيه:** اشتهر الاستدلال في هذه المسألة بما أخرج أحمد وابن حبان من حديث ابن مسعود أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الدعاء المعروف: «وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ» <sup>(١٠٨)</sup>، وفيه: «استأثرت به في علم الغيب عندك»، فدل على أن من أسماء الله ما لا يعلمه إلا الله، فهذا يفيد على أنها غير محصورة بعدد، إلا أن هذا الحديث لا يصح، فإنه من رواية عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، وعبد الرحمن لم يسمع من أبيه، وإنما سمع منه في الجملة، وقال علي بن المديني: سمع منه حديثين <sup>(١٠٩)</sup>، وذكر

(١٠٤) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٣٢-٣٣٣).

(١٠٥) بدائع الفوائد (١/ ٢٩٤).

(١٠٦) البخاري (٦/ ٨٤) رقم الحديث (٤٧١٢). ومسلم (١/ ١٢٧) رقم الحديث (١٩٤).

(١٠٧) بدائع الفوائد (١/ ٢٩٤).

(١٠٨) أحمد (٦/ ٢٤٦) رقم: (٣٧١٢) ط الرسالة، وابن أبي شيبة (١٦/ ١٦٩) رقم: (٣١٢٨٩)، وابن

حبان في "صحيحه" (٢/ ٤٩٨) رقم: (١٧٥٧).

(١٠٩) "وقال ابن المديني في "العلل": سمع من أبيه حديثين: حديث الضَّبِّ، وحديث تأخير الوليد

للصلاة". تهذيب التهذيب (٧/ ٧٣٣).

حديث الضب وحديثاً آخر ولم يذكر هذا منها، لذا قال الحاكم: اتفق مشايخ الحديث على أن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه<sup>(١١٠)</sup>، فالأصل فيما يرويه عن أبيه أنه لم يسمعه، إلا الحديثين الذين استثناهما الإمام علي بن المديني، وهو إمام العلل **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

وقوله: «**من أحصاها**»، وقد تنازع العلماء في معنى «**أحصاها**»، ومحصل الأقوال في معنى «**أحصاها**» أقوال أربعة، ذكرها جمع من أهل العلم:

القول الأول: معنى «**أحصاها**» حفظها، وقد جاءت في ذلك رواية في الصحيحين ولفظ مسلم أصرح قال: «**من حفظها دخل الجنة**»<sup>(١١١)</sup>، ففسر الإحصاء بالحفظ، قال النووي في كتابه (الأذكار)<sup>(١١٢)</sup>: وأكثر أهل العلم على أن معنى «**أحصاها**» حفظها وقد رجحه، وهذا الذي ذهب إليه الإمام البخاري<sup>(١١٣)</sup>، وابن الجوزي<sup>(١١٤)</sup>، والخطابي في كتابه (شأن الدعاء)<sup>(١١٥)</sup> وجماعة من أهل العلم.

ونازع ابن حجر<sup>(١١٦)</sup> **رَحْمَةُ اللَّهِ** في معنى الحفظ، وقال: إن معنى الحفظ في الحديث حفظ المعنى لا اللفظ، قال: فإنه قد يحفظ اللفظ من ليس أهلاً لهذه المنزلة أو من

(١١٠) «تهذيب التهذيب» (٧/ ٧٣٤).

(١١١) صحيح مسلم (٨/ ٦٣) رقم: (٢٦٧٧).

(١١٢) الأذكار (ص ١٠١)، وشرح النووي على مسلم (١٧/ ٥).

(١١٣) البخاري (٩/ ١١٨) رقم: (٧٣٩٢).

(١١٤) كشف المشكل (٣/ ٤٣٦).

(١١٥) شأن الدعاء (ص ٢٦).

(١١٦) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٢٦).

الفجّار أو نحوًا من ذلك، وقد ذهب إلى قوله الأصيلي وأبو نعيم وابن عطية<sup>(١١٧)</sup>، إلا أن في هذا نظرًا—والله أعلم—؛ لأن الظاهر في استعمال لفظ «الحفظ» حفظ الألفاظ.

القول الثاني: معنى «أحصاها» أطاقها، كما قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] وقال سبحانه: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] أي أن لن تطيقوه، والإطاقة ترجع إلى العمل والتعبّد بها... إلى غير ذلك من المعاني، وهذا لا يتصور إلا بعد معرفتها، وكأن هذا قول أبي عمر الطلمنكي<sup>(١١٨)</sup>، وقد ذكر هذا القول جمع من أهل العلم كالخطابي في كتابه (شأن الدعاء)<sup>(١١٩)</sup>، والبيهقي في كتابه (الأسماء والصفات)<sup>(١٢٠)</sup>، والنووي في كتابه (الأذكار)<sup>(١٢١)</sup>، وابن حجر في شرحه على البخاري<sup>(١٢٢)</sup>، وجمع من أهل العلم.

القول الثالث: معنى «أحصاها» عقلها، قال الخطابي: تقول العرب: ذو حصة، أي ذو عقل، فمعنى هذا أنه عرف معناها، فيعرف عددها أي يميزها ثم يعرف معناها،

(١١٧) «فتح الباري» لابن حجر (١١ / ٢٢٦).

(١١٨) «فتح الباري» لابن حجر (١١ / ٢٢٦).

(١١٩) شأن الدعاء (ص ٢٧).

(١٢٠) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ٢٧).

(١٢١) الأذكار (ص ١٠١).

(١٢٢) فتح الباري لابن حجر (١١ / ٢٢٥).

ولا يلزم من ذلك أن يحفظها، وقد ذكر هذا القول الخطابي (١٢٣) والبيهقي (١٢٤) وابن حجر (١٢٥) والنووي في كتابه (الأذكار) (١٢٦) وجماعة من أهل العلم.

القول الرابع: معنى «أحصاها» استوفاهما، وقالوا: من استوفى القرآن قراءةً فقد أحصاها، لأنه لا بد أن يمر عليها، وقد ذكر هذا القول الخطابي (١٢٧)، وفي كلامه ما يدل على أن المراد الحفظ، فمن حفظ القرآن فقد أحصاها، لأنه لا بد أن يحفظ أسماء الله الموجودة في القرآن، وقد ذهب إلى هذا القول أبو عبد الله الزبيري (١٢٨)، كما نسبه إليه الخطابي.

هذه أقوال أربعة، ولعل أرجح هذه الأقوال الأربعة القول الأول، وهو أن معنى «أحصاها» حفظها، وعدّها، ولا يمكن أن يحفظها إلا بعد أن يميزها وأن يعدّها، فإذا ميزها وعدّها حفظها بعد ذلك، ويدل لذلك الرواية الأخرى قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من حفظها دخل الجنة» (١٢٩)، وهو قول الجمهور - كما تقدم -.

(١٢٣) شأن الدعاء (ص ٢٨).

(١٢٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢٧).

(١٢٥) فتح الباري لابن حجر (١١/٢٢٥).

(١٢٦) الأذكار (ص ١٠١).

(١٢٧) شأن الدعاء (ص ٢٩).

(١٢٨) شأن الدعاء (ص ٢٩).

(١٢٩) صحيح مسلم (٨/٦٣) رقم الحديث (٢٦٧٧).

**تنبيه:** ذكر القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ فِيما نقل الحافظ في (الفتح) (١٣٠) أن المعاني الثلاثة – وهو يشير للمعاني الثلاثة الأول – أن الناس فيها على درجات ثلاث، وقريب من كلامه ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كتابه (بدائع الفوائد) (١٣١)، قال: للإحصاء مراتب ثلاث:

المرتبة الأولى: أن يعدها بأن يميزها وأن يعرفها.

المرتبة الثانية: أن يعلمها.

المرتبة الثالثة: أن يعمل بها.

قال: والعمل بها: هو الدعاء بها دعاء المسألة ودعاء العبادة، ذكره في كتابه (بدائع الفوائد) (١٣٢)، ومعنى دعاء العبادة: مطلق التعبد، فكل تعبد بهذه الأسماء يسمى عملاً بها، فتتعبد بمغفرة الله، وبعلم الله... إلى آخره.

ودعاء المسألة مطلق الدعاء، بأن تدعو الله تقول: يا رحمن ارحمنا، يا رحمن اغفر لنا... إلى غير ذلك، وتدعو أسماءه وتدعو بأسمائه وتتوسل بها، هذا ما قرره ابن القيم – رحمه الله – في كتابه (بدائع الفوائد) (١٣٣).

(١٣٠) فتح الباري لابن حجر (١١/٢٢٥).

(١٣١) بدائع الفوائد (١/٢٨٨).

(١٣٢) المرجع السابق.

(١٣٣) المرجع السابق.

إلا أن فيما ذكره ابن القيم والقرطبي نظرًا -والله أعلم-؛ وذلك أن العلماء لما تنازعوا على أقوال أربعة تنازعوا في أيها المراد، أهو القول الأول أو الثاني أو الثالث أو الرابع، وكان القرطبي وابن القيم قالوا: الجميع مراد، فمحصّل قولهم أحد أمرين: الأول: أن المراد المرتبة الأولى، وما زاد فهو أمر زائد، فمجرد الإتيان بالمرتبة الأولى فله الفضل، والباقي من باب الكمال، وهذا لا إشكال فيه، فيرجع قولهم إلى ترجيح أن معنى «أحصاها» عدّها وحفظها.

الثاني: أن يكون قولهم مركّبًا، فلا بد من الجمع بين الأمور الثلاثة، وإن كان قولهم كذلك فإنه خطأ من جهة أنه لا يتناسب مع المراد، لأنهم لم يبينوا المراد بالحديث -والله أعلم-.

الثالث: من المباحث المهمة أن يعرف أهل السنة طريقة استنباط الأسماء من الأدلة، فيحصل في بعض الأدلة اختلاف في استنباط بعض الأسماء، وهناك قواعد مهمة لا بد لأهل السنة أن يضبطوها ويعرفوها، ومن القواعد المفيدة ما ذكر ابن القيم في أواخر (مدارج السالكين) <sup>(١٣٤)</sup> أن ما أطلق على الله على صيغة اسم الفاعل فإنه من أسماء الله، ولا بد أن يكون ذلك مع الضوابط الأخرى، فلا بد أن تكون حسنى بلغت في الحسن أعلاه وأكملاه، لذلك لا يُطلق على الله المُريد؛ لأنه ليس في المعنى أنه من الحسنى.

ومن ذلك صيغ المبالغة القياسية الخمس المشهورة وما زاد عليها من السماعية  
مثل: (فَعِل)، (فَعُول)، (مِفْعَال)، (فَعِيل) (فَعَّال) إلى آخر صيغ المبالغة، لذلك  
(رحيم) (فَعِيل) بمعنى فاعل، و(سميع) (فَعِيل) بمعنى فاعل، هذه من صيغ المبالغة  
وترجع إلى اسم الفاعل.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا (١٣٥).

٧٣٩٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشُهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصِنْفَةٍ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمَسَكَتَ نَفْسِي فَاعْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»، تَابَعَهُ يَحْيَى، وَبَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَزَادَ زُهَيْرٌ، وَأَبُو ضَمْرَةَ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَاءَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٧٣٩٤ - حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ رَبِيعِيٍّ، عَنْ حُدَيْفَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ»، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

٧٣٩٥ - حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رَبِيعِيٍّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ خَرِشَةَ بْنِ الْحَرِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: «بِاسْمِكَ تَمُوتُ وَنَحْيَا»، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

٧٣٩٦ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَبَّنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا " .

٧٣٩٧ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا فُضَيْلٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُرْسِلُ كِلَابِي الْمُعَلَّمَةَ؟ قَالَ: «إِذَا أُرْسِلَتْ كِلَابُكَ الْمُعَلَّمَةَ، وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ، فَأَمْسَكَنْ فَكُلْ، وَإِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ فَخَزَقْ فَكُلْ» .

٧٣٩٨ - حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَا هُنَا أَقْوَامًا حَدِيثُ عَهْدِهِمْ بِشِرْكٍ، يَأْتُونَا بِالْحِمَانِ لَا نَدْرِي يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ [ص: ١٢٠] عَلَيْهَا أَمْ لَا، قَالَ: «اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَكُلُوا» تَابِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالِدُ الرَّوْرِدِيِّ، وَأَسَامَةُ بْنُ حَفْصٍ .

٧٣٩٩ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «صَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ يُسَمَّى وَيَكْبَرُ» .

٧٤٠٠ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ جُنْدَبٍ، أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ صَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ» .

٧٤٠١ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ».

قوله: (بَابُ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا) هذا الباب من إحصاء الأسماء وهو العمل بها، فإن السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها من العمل بها، فهو من إحصائها.

والمراد من هذا الباب تأكيد أن الله أسماءً وأنه يُعمل بهذه الأسماء، وهو من كمال إحصائها.

قوله: (بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنِّي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ) وهذا من العمل بها.

**فائدة:** هذا الذكر ليس خاصاً بنوم الليل، بل أذكار النوم تُستحب في نوم الليل والنهار، وإنما ذكر النوم من باب الغالب، والقاعدة الأصولية أن ما خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، وقد بين هذا ابن علان في شرحه على (الأذكار) (١٣٦) وغيره.

قوله: (بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ) وقوله: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ» وهذا كله من العمل بالأسماء، وأعلى مراتب الإحصاء المرتبة الثالثة وهي العمل بها.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ مَا يُذَكَّرُ فِي الذَّاتِ وَالنُّعُوتِ وَأَسَامِي اللَّهِ.

وَقَالَ حُبَيْبٌ: «وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ فَذَكَرَ الذَّاتَ بِاسْمِهِ تَعَالَى» (١٣٧).

٧٤٠٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ، حَلِيفُ لِبْنِي زُهْرَةَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ»، مِنْهُمْ حُبَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ، فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ، أَنَّ ابْنَ الْحَارِثِ، أَخْبَرْتُهُ، أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، قَالَ حُبَيْبُ الْأَنْصَارِيُّ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقِّ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي،  
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شَلْوٍ مُمَزَّعٍ،  
فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ، «فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبْرَهُمْ يَوْمَ أُصِيبُوا».

قوله: (بَابُ مَا يُذَكَّرُ فِي الذَّاتِ وَالنُّعُوتِ وَأَسَامِي اللَّهِ) المراد ما يُذَكَّرُ فِي إثبات

الذات لله والنعوت - وهي الصفات - والأسامي، وكأنه في هذا الباب يُشير إلى أن ما يطلق على الله أقسام ثلاثة إما اسم أو صفة أو خبر.

إن أسماء الله وصفاته توقيفية، وقد حكى الإجماع على ذلك السجزي في رسالته لأهل زبيد<sup>(١٣٨)</sup>، وحكاه ابن عطار في كتابه: (الاعتقاد الخالص)<sup>(١٣٩)</sup>، وكلام ابن تيمية يدل على أن السلف مجمعون على ذلك.

فما يطلق على الله ما بين أن يكون اسمًا أو صفةً، وكلاهما توقيفان، فقال: **(بابُ مَا يُذَكَّرُ فِي الذَّاتِ وَالنُّعُوتِ وَأَسْمَائِ اللَّهِ)**، والذات يُطلق على الله من باب الخبر، وما يُطلق على الله من باب الإخبار ليس توقيفيًا، فيصح أن تُخبر عن الله بما شئت لكن بشرط ألا يكون اللفظ سيئًا من كل وجه، فلو كان سيئًا من وجه دون وجه وأردت به الوجه غير السيء صحَّ الإخبار به عن الله.

ذكر هذا ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى)<sup>(١٤٠)</sup> وفي (الجواب الصحيح)<sup>(١٤١)</sup> وابن القيم في (بدائع الفوائد)<sup>(١٤٢)</sup>.

ومن أدلة الإخبار قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] فإطلاق (شيء) على الله ليس مدحًا، لكنه ليس ذمًا من كل وجه، ولا سيئًا من كل وجه.

(١٣٨) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص ١٧٨).

(١٣٩) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد» (ص ١٢٩).

(١٤٠) «مجموع الفتاوى» (٦ / ١٤٢).

(١٤١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٨ / ٥).

(١٤٢) بدائع الفوائد» (١ / ٢٨٤).

وذكر ابن تيمية<sup>(١٤٣)</sup> وابن القيم<sup>(١٤٤)</sup> أن إطلاق (الذات) فيما يُقابل الصفات هذا الإطلاق مُولد ولا يُعرف عن العرب الأوائل، ففرق بين (ذو) بمعنى صاحب و(ذات) المقابلة للصفات، فيقال: لك ذات ولك صفات، فإطلاق الذات على هذا إطلاقٌ مُولّد، لذا فليس له دليل في الكتاب والسنة بهذا المعنى، وإنما أُطلق الذات في السنة النبوية بمعنى حقيقة الشيء

قال إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: كذبت في ذات الله، أي في حق الله، وليس مراده بالذات ما يُقابل الصفات<sup>(١٤٥)</sup>.

وما يذكره البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** من دليل على إثبات الذات فيه نظر -والله أعلم-، لأن الذات الذي سيذكره بمعنى (من أجل) أو (جانب) أو (حق) وهكذا كما تقدم بيانه لا الذات التي تقابل الصفات.

قوله: **(وَقَالَ حُيَيْبٌ: «وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ...»)** في حق الإله، لا الذات التي تُقابل الصفات، لذا استدلال البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** فيه نظر -والله أعلم-، وهذا مستفاد تأصيلاً من كلام ابن تيمية وابن القيم.

(١٤٣) «مجموع الفتاوى» (٦ / ٩٩).

(١٤٤) «بدائع الفوائد» (٢ / ٤٠٢).

(١٤٥) صحيح البخاري (٤ / ١٤٠) رقم (٣٣٥٨)، وصحيح مسلم (٧ / ٩٨) رقم (١٥٤)، وسنن أبي داود (٣ / ٥٣٣) رقم (٢٢١٢)، والسنن الكبرى للنسائي (٧ / ٣٩٦) رقم (٨٣١٦).

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عمران: ٢٨] (١٤٦)

وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: {تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ} [المائدة: ١١٦]

٧٤٠٣ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ

شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيِرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ  
الْفَوَاحِشَ، وَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ».

٧٤٠٤ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ  
وَهُوَ وَضَعُ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ [ص: ١٢١] غَضَبِي».

٧٤٠٥ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي،  
وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ  
فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ  
إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً ".

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عمران: ٢٨] وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ:

{تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ}) في هذا الباب إثبات الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ

النفس لله عز وجل.

وأهل السنة يحرصون على إثبات النفس لله؛ لأن معنى النفس الحي الذي له صفاته، ففي هذا رد على الجهمية والمعتزلة، بخلاف الذات، فيقال: (ذات فلان) تُطلق على الحي وعلى الجماد، أما النفس فلا تُطلق إلا على الحي.

ثم النفس ليست صفة من صفات الله، لأن المراد بالنفس حقيقته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] أي ذاته وحقيقته سبحانه، وقد بين ابن تيمية في كتابه: (بيان تلبيس الجهمية) <sup>(١٤٧)</sup> أن السلف على هذا، وأن إطلاق النفس على أنه من صفات الله خلاف قول السلف، وقد وقع فيه بعض المعاصرين، لكن كلام السلف الأولين أن النفس ليست صفة لله بل بمعنى ذاته سبحانه أي حقيقته سبحانه وتعالى.

ثم ذكر ابن تيمية في البحث نفسه أنه يفهم من كلام ابن خزيمة والدارمي أن النفس صفة من صفات الله، ثم بين أن ابن خزيمة والدارمي لا يريدان هذا المعنى ثم حقق أن السلف على أن النفس بمعنى ذاته لا أنها صفة من صفاته <sup>(١٤٨)</sup>.

قوله: («مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ...») وجه الدلالة: أن قوله (أحد) أي نفسه، وتقدم أن النفس بمعنى الذات وحقيقته.

قوله: (وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ) أي على ذاته.

(١٤٧) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٧٥٢، ٤٥٥، ٤٥٧).

(١٤٨) المصدر السابق.

قوله: **(وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرِ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً)** تنازع أئمة السنة في دلالة هذا الحديث على أقوال:

القول الأول: قول ابن قتيبة في (مختلف الحديث) <sup>(١٤٩)</sup> وأحد قولي ابن تيمية <sup>(١٥٠)</sup>

أنه يُراد مطلق التعبد والتقرب، لا يختص بالتقرب والتعبد الذي فيه مشي وسير، لذا قال: **«وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»** فليس خاصًا بما فيه مشي كالطواف والسعي، بل عام لجميع العبادات.

القول الثاني: أنه خاص بما فيه مشي كالمشي للمساجد والطواف والسعي، وهو

القول الآخر لابن تيمية <sup>(١٥١)</sup>.

فلأهل السنة قولان في هذا.

وفي الحديث قوله: **(وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً)** فيه إثبات الهرولة، وأهل السنة

متواردون على إثبات صفة الهرولة لله، كما قرر هذا الدارمي **رَحِمَهُ اللَّهُ** <sup>(١٥٢)</sup>، وإسحق الحربي في كتابه: (الغريب) <sup>(١٥٣)</sup>، والبرهاري <sup>(١٥٤)</sup> وغيرهم.

(١٤٩) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٣٢٧).

(١٥٠) «بيان تلبيس الجهمية» (٦ / ١٠٣).

(١٥١) نسبه العلامة ابن عثيمين كما في «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٣ / ٣٢٨) معتمداً على كلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٥ / ٤٦٦).

(١٥٢) نقض الدارمي على المريسي - ت الألمعي» (١ / ٥٦١) كما أشار في الحاشية في طبعة أخرى.

(١٥٣) «غريب الحديث - إبراهيم الحربي» (٢ / ٦٨٤).

(١٥٤) «شرح السنة للبرهاري» (ص ٦٧).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} <sup>(١٥٥)</sup> [القصص: ٨٨].

٧٤٠٦ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ} [الأنعام: ٦٥] قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، فَقَالَ: {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} [الأنعام: ٦٥] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: {أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا} [الأنعام: ٦٥] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا أَيْسَرُ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}) فيه إثبات صفة الوجه، وأهل السنة متنازعون في دلالة هذا الآية، فمنهم من يقول: إلا ما يُبتغى به وجه الله، وهذا قول جماعة <sup>(١٥٦)</sup>.

ومنهم من يقول: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ المراد إلا هو سبحانه، فيراد إثبات الوجه على ظاهره، كما هو ظاهر اختيار البخاري، وهو قول أحمد <sup>(١٥٧)</sup> وجماعة من أئمة السنة <sup>(١٥٨)</sup>.

(١٥٥) صحيح البخاري (١٢١ / ٩).

(١٥٦) «مجموع الفتاوى» (٢ / ٤٣٣)، (١١ / ٣٥٠).

(١٥٧) «الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد» (ص ١٧٠)، وانظر: حادي الأرواح» (١ / ٩٧).

(١٥٨) «التوحيد لابن خزيمة» (١ / ٢٦).

فالمقصود أن في كليهما ما يُفيد إثبات صفة الوجه، فعلى القول الأول يلزم إثبات الوجه، أما على القول الثاني فهو صريح في إثبات صفة الوجه، وهو ظاهر اختيار الإمام البخاري<sup>(١٥٩)</sup>.

ثم إن قوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ليس على ظاهره، فعند أهل السنة هذا عام يُراد به الخصوص، أي كل ما كُتب عليه الهلاك والفناء، خلافاً للجهمية، فلذلك الجنة والنار لا تفتنان، والحدور العين لا تفتنى، والعرش لا يفنى، والكرسي... إلخ، وقد حكى أهل السنة إجماعات على هذا.

فمعنى قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أن كل ما حكم عليه بالهلاك فهو هالك، فإن عموم (كل) يُعرف بدلالة سياقه.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلْتُصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي} [طه: ٣٩] «تُعَدِّي»، وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر: ١٤] (١٦٠).

٧٤٠٧ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ذَكَرَ الدَّجَالَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَانَ عَيْنُهُ عِنَبَةً طَافِيَةً».

٧٤٠٨ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلْتُصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي} [طه: ٣٩] «تُعَدِّي»، وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر: ١٤]) فيه إثبات صفة العين لله سبحانه وتعالى.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَلْتُصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي} [طه: ٣٩] «تُعَدِّي») قد يظن من لا يدري أن البخاري أول، وليس كذلك فإن طريقة السلف أنهم يفسرون الشيء بذكر بعض أفرادها، وأمثله، ولا يدل على أن ما عداه ليس كذلك، وقد يفسرون الشيء بذكر

لازمه، وقد بيّن هذا ابن تيمية في (مقدمة أصول التفسير) <sup>(١٦١)</sup>، وابن القيم في (الصواعق المرسلّة) <sup>(١٦٢)</sup>، وبيّنه ابن تيمية في مواضع آخر <sup>(١٦٣)</sup>.

فالسلف يفسرون (الصراط)، بالقرآن، ومنهم من يفسره بالإسلام، فهذا تفسير ببعض أفرادهِ، والنبى ﷺ قال: «الحج عرفة»، ليس كل الحج عرفة وإنما تفسير الشيء ببعض أفرادهِ.

فتفسير الشيء ببعض أفرادهِ أو بلازمه لا ينفي ما عداه، فالسلف إذا فسروا قوله تعالى: ﴿لَتَصْنَعَنَّ عَلَىَّ عَيْنِي﴾ بمعنى تُغذى، فليس تأويلاً كما يفعل المتكلمون كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة، إذا قالوا في قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ قالوا: نعمته وقدرته.

فإن قال المؤول من الجهمية أو المعتزلة والأشاعرة - كما يُرده بعض الأشاعرة من قديم -: إننا نفسر الشيء بلازمه كما فعل السلف؟

فيقال: فرق بينكم وبين السلف من جهتين:

الجهة الأولى: أن هذه طريقتهم وهي التفسير بالمثال واللازم، أما أنتم فلا تفسرون الشيء إلا بالتفسير المطابق له فما تذكرونه فهو محمول على المطابق عندكم.

(١٦١) «مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية» (ص ٤٥).

(١٦٢) الصواعق المرسلّة (١/ ٣٩٩)، و«أعلام الموقعين» (١/ ٣٣٧).

(١٦٣) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٦٩).

الجهة الثانية: السلف لا يذمون تفسير الصفات بالمطابق كإثبات الاستواء بمعناه المطابق وهو العلو والارتفاع وهكذا...، أما أنتم فتذمون تفسيره بالمطابق، وتنفون أن الله عيّنًا، وأنه يغضب ويفرح، أما السلف فلا يمانعون منه بل يثبتونه، وهذا فارق مؤثر، بل إن بعض الأشاعرة المتأخرين جعلوا ظواهر القرآن كفرًا كما ذكره الباجوري في شرح (الجوهرة) <sup>(١٦٤)</sup> وذكره غيره وهذا ما لا يقوله السلف.

وبهذا يُعرف خطأ الأشاعرة المتأخرين من محاولتهم نسبة التأويل للسلف.

قوله: **(إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٌ)** في هذا أن الله عينين، وقد أجمع على هذا أئمة السنة، حكاها أبو الحسن الأشعري <sup>(١٦٥)</sup> وغيره ونقله ابن تيمية <sup>(١٦٦)</sup> وأقره؛ ولأن العور لا يكون إلا لمن له عينان.

(١٦٤) شرح الجوهرة (ص ١٢٨).

(١٦٥) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ٢١٥).

(١٦٦) «مجموع الفتاوى» (٥ / ٩٤).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} [الحشر: ٢٤] (١٦٧).

٧٤٠٩ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى هُوَ ابْنُ عُقْبَةَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ أَنَّهُمْ أَصَابُوا سَبَايَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِهِنَّ، وَلَا يَحْمِلْنَ، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْعَزْلِ، فَقَالَ: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ مَنْ هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، عَنْ قُرْعَةَ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ فَقَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} [الحشر: ٢٤]) في هذا إثبات هذه الأسماء لله، وأنه لم يكتسب اسم الخلق لما خلق، بل هو الخالق قبل أن يخلق سبحانه.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] (١٦٨).

٧٤١٠ - حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا [ص: ١٢٢] حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى، عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدًا وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاسْأَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ عِلْمِنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدًا وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاسْأَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ عِلْمِنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُثُ

لِي حَدًّا، فَأَدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعْ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يُقَالُ: اِرْفَعْ مُحَمَّدٌ، قُلْ يُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ عِلْمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً."

٧٤١١ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "يُدُّ اللَّهُ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ [ص: ١٢٣] وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانَ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ."

٧٤١٢ - حَدَّثَنَا مُقَدَّمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي الْقَاسِمُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ" رَوَاهُ سَعِيدٌ، عَنْ مَالِكٍ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ حَمْزَةَ: سَمِعْتُ سَالِمًا، سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا.

٧٤١٣ - وَقَالَ أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ».

٧٤١٤ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، سَمِعَ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ، وَسُلَيْمَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عبيدة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا

مُحَمَّدٌ، إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. «فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١] قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: وَزَادَ فِيهِ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصَدِيقًا لَهُ.

٧٤١٥ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلْقَمَةَ يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالنَّشْرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ، «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١].

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لَمَّا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥]) فيه إثبات اليمين لله، والعين واليدان والوجه مما يُثبتها الأشاعرة الأوائل، كأبي الحسن الأشعري<sup>(١٦٩)</sup>، وابن فورك<sup>(١٧٠)</sup>، والباقلاني<sup>(١٧١)</sup>، وإنما نازع فيها من تأخر من الأشاعرة، فمن الردود

(١٦٩) «رسالة إلى أهل الشغرياب الأبواب» (ص ١٢٧).

(١٧٠) «مشكل الحديث وبيان» (ص ٢٥٨ و ٣٥٩).

(١٧١) «تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل» (ص ٢٩٦).

على الأشاعرة الذين هم أتباع الرازي أن يُحاجوا بأقوال أئمتهم الأوائل الذين يُثبتون الوجه واليدين والعينين.

ويقول ابن تيمية <sup>(١٧٢)</sup> وابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية) <sup>(١٧٣)</sup>:  
الأشاعرة كلما تأخروا ازداد بعدهم عن الحق. نسأل الله العافية.

وقول ابن تيمية في (الحموية) <sup>(١٧٤)</sup>: وعامة التأويلات التي بين أيدينا اليوم هي تأويلات بشر المريسي التي كان يُنكرها السلف.

قوله: (فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ) أي نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أول الرسل، وإن هناك فرقاً بين النبي والرسول بالإجماع، فالرسول أفضل من النبي بالإجماع، حكى الإجماع ابن حزم <sup>(١٧٥)</sup> وابن كثير <sup>(١٧٦)</sup>، فدل على أن بينهما فرقاً.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] فالأصل في العطف أنه يقتضي المغايرة.

(١٧٢) «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص ١٢٧)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٧ / ٩٧).

(١٧٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٥٠٥ - ٥٠٦).

(١٧٤) «الفتوى الحموية الكبرى» (ص ٢٥١).

(١٧٥) «المحلى بالآثار» (١ / ٤٨).

(١٧٦) «تفسير ابن كثير» (٥ / ٨٧).

فأول الرسل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأول الأنبياء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن حبان لما سُئِلَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن آدم قال: «نبي مُكَلَّم» <sup>(١٧٧)</sup>، وأيضاً في حديث الشفاعة فيأتون إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو نبي وليس رسولا.

والفرق بين النبي والرسول هو ما اختاره قطرب <sup>(١٧٨)</sup> وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ <sup>(١٧٩)</sup> أن الرسول يُبعث إلى أقوام مخالفين أما النبي لا يُبعث إلى قوم مخالفين.

لذلك آدم نبي ولم يُبعث إلى قوم مخالفين، أما نوح فهو رسول بُعث إلى قوم مخالفين، أما القول بأن النبي لم يُؤمر بالبلاغ والرسول أمر بالبلاغ، فرده ابن تيمية في (النبوات) <sup>(١٨٠)</sup>، وبيّن أن الله أخذ العهد والميثاق على أهل العلم فكيف بالأنبياء؟

قوله: **(إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ)** فيه وفيما قبله من الأحاديث إثبات اليد، وفي هذا الحديث أنها يمنى، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم: «كلتا يديه يمين» <sup>(١٨١)</sup>، وجاء في مسلم من حديث ابن عمر <sup>(١٨٢)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إثبات الشمال لله، لكن الرواية شاذة لا تصح، فقد

(١٧٧) «مسند أحمد» (٤٣٢ / ٣٥).

(١٧٨) أعلام النبوة للماوردي (ص ٥٠ - ٥١).

(١٧٩) «النبوات لابن تيمية» (٢ / ٧١٤).

(١٨٠) المصدر السابق مع زيادة صفحات ٧١٥-٧١٦.

(١٨١) «صحيح مسلم» (٦ / ٧) رقم الحديث ١٨٢٧.

(١٨٢) «صحيح مسلم» (٨ / ١٢٦) رقم الحديث ٢٧٨٨.

انفرد بها عمر بن حمزة كما بين هذا البيهقي<sup>(١٨٣)</sup>، ولم يُثبت الشمال ابن خزيمة<sup>(١٨٤)</sup> رَحْمَةُ اللَّهِ وَالْبَيْهَقِيُّ<sup>(١٨٥)</sup>.

والصواب أن الله يدين وكتاهما يمين، ولا يُثبت الشمال لله؛ لأن الحديث في ذلك ضعيف.

قوله: (أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. «فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١]).

وإثبات اليد في هذا الحديث من الآية، فقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] أتى بها بعد ذكر حديث ابن مسعود، وهذا هو وجه الدلالة فدل على أن الأصابع في اليدين.

(١٨٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢ / ١٣٩).

(١٨٤) «التوحيد لابن خزيمة» (١ / ١٥٩).

(١٨٥) الأسماء والصفات للبيهقي (٢ / ١٣٩).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا شَخْصَ أُغْيِرُ مِنَ اللَّهِ» وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ: «لَا شَخْصَ أُغْيِرُ مِنَ اللَّهِ». (١٨٦)

٧٤١٦ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّبُوكِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ وَرَادٍ، كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ عَنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصَفِّحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أُغْيِرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أُغْيِرُ مِنِّْي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ [ص: ١٢٤] أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنذِرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا شَخْصَ أُغْيِرُ مِنَ اللَّهِ») روى البخاري الأحاديث بلفظ (لا أحد)، وفي لفظ معلق: (لا شخص)، وأخرجه مسلم بإسناد موصول صحيح: (لا شخص).

فإن قيل: هل يحتاج إلى ترجيح بين هذه الروايات كما يقوله بعض الشراح المتكلمين؟

يقال: لا يحتاج إلى ترجيح، لأن هذا ليس من مباحث زيادة الثقة؛ لأن الاختلاف يرجع إلى اللفظ ولا ينبنى عليه حكم فما كان كذلك فلا يُبحث مبحث زيادة الثقة كما بيّنه مسلم في كتابه: (التمييز) (١٨٧).

فالروايات بالمعنى لا يُشدد فيها، فإن معنى (شخص) هو معنى (أحد)؛ وذلك أن الشخص ما شُخص وبان عن غيره، فكل ما شُخص وبان عن غيره يقال عنه شخص، وقد ثبتت الأدلة الكثيرة أن لله أسماءً وصفات فهو سبحانه قد شُخص وبان عن غيره.

وهذا معنى (أحد)، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أي أن له أسماءه وصفاته، فالشخص والأحد بمعنى واحد.

ومثل هذا يُحاول الجهمية والمتكلمون من الأشاعرة وغيرهم أن يُضعفوه وأن يردوه؛ لأنه يخالف مذهبهم، لذا يقول القواريري: ليس حديث أشد على الجهمية من هذا الحديث قوله: لا شخص أحب إليه مدحة من الله (١٨٨).

وبهذا يُدرك خطأ بعض المتكلمين كابن بطلال (١٨٩) والخطابي (١٩٠) لما قالوا: أجمع العلماء على عدم إثبات الشخص لله، وهذا فيه نظر، بل هو خطأ قطعاً، فهذا إجماع المتكلمين، أما أهل السنة فهم على خلاف ذلك.

(١٨٧) «التمييز لمسلم» (ص ١٧٢).

(١٨٨) «مسند أحمد» (٣٠ / ١٠٦).

(١٨٩) «شرح صحيح البخاري» لابن بطلال (١٠ / ٤٤٢).

(١٩٠) «أعلام الحديث» (٤ / ٢٣٤٤).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ} [الأنعام: ١٩] (١٩١) «فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا، وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ شَيْئًا، وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ»، وَقَالَ: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨].

٧٤١٧ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟»، قَالَ: نَعَمْ، سُورَةٌ كَذَا وَسُورَةٌ كَذَا، لِسُورٍ سَمَّاهَا.

قوله: (بَابُ {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ} [الأنعام: ١٩] «فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا، وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ شَيْئًا، وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ»، وَقَالَ: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨].

في هذا أمران:

الأمر الأول: أن الله شيء، وكل شيءٍ فله صفات، لذلك أهل السنة يُثبتون أن الله شيء، وليس شيء في الأعيان - في الوجود - لا صفات له، وإنما هذا يُتصور في الأذهان، أما الأعيان فليس شيء موجودًا إلا وله صفات.

وقد ذكر هذا أهل السنة كالبخاري<sup>(١٩٢)</sup> والدارمي<sup>(١٩٣)</sup> وغيرهم، ومقتضى أنه شيء أن له صفات، وهذا رد على الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المتكلمين.

وكون الله شيئاً والمخلوقات شيئاً لم يلزم منه التشبيه، فكلُّ على ما يليق به كما تقدم بيانه؛ لذا قال البخاري: **(«فَسَمَّى اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا، وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ شَيْئًا، وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ»)**، وَقَالَ: **{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}** فكل المخلوقات هالكة إلا من لم يكتب الله عليه الهلاك.

الأمر الثاني: قوله: **(فَسَمَّى اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا)** ليس معنى هذا أن من أسماء الله الشيء، ففي اللغة إذا قيل: **(إذا سمى نفسه)** أي أطلق على نفسه، فلفظ **(سمى)** أشمل من معنى الأسماء التي تُقابل الصفات.

وقد استعمل هذه العبارة الدارمي<sup>(١٩٤)</sup>، فظن بعضهم أن أئمة السنة يريدون بهذا أنه سبحانه سمي نفسه شيئاً، وهذا ليس مراداً وإنما أطلق على نفسه لفظ **(شيء)** من باب الإخبار لا من باب الأسماء؛ وذلك أن أسماء الله حسنى و**(شيء)** ليس كذلك.

(١٩٢) «صحيح البخاري» (٩ / ١٢٤).

(١٩٣) «الرد على الجهمية للدارمي» (ص ٩٤).

(١٩٤) المصدر السابق.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: ٧] {وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة: ١٢٩] (١٩٥).

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: {اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} [البقرة: ٢٩]: «ارْتَفَعَ»، {فَسَوَّاهُنَّ} [البقرة:

٢٩]: «خَلَقَهُنَّ» وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {اسْتَوَى} [البقرة: ٢٩]: «عَلَا» {عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {الْمَجِيدُ} [ق: ١]: «الْكَرِيمُ»، و{الْوُدُودُ} [البروج: ١٤]: «الْحَبِيبُ»، يُقَالُ: «حَمِيدٌ مَجِيدٌ، كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ، مَحْمُودٌ مِنْ حَمِدٍ».

٧٤١٨ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ

شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ

قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: بَشَرْنَا فَأَعْطَانَا، فَدَخَلَ

نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلَهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا:

قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ، قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ

يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ

كُلَّ شَيْءٍ»، ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ أَدْرِكُ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَاَنْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا،

فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقْمِ.

٧٤١٩ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ،

حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءُ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَيَدِهِ الْأُخْرَى الْفَيْضُ - أَوْ الْقَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ».

٧٤٢٠ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللَّهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ [ص: ١٢٥] تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَعَنْ ثَابِتٍ: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ} [الأحزاب: ٣٧] [نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ].

٧٤٢١ - حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ طَهْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: "نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَأَطْعَمَ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ حُبْزًا وَلَحْمًا، وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ".

٧٤٢٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي".

٧٤٢٣ - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي هِلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ

بِذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

٧٤٢٤ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟»، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، ثُمَّ قَرَأَ: ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا " فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ.

٧٤٢٥ - حَدَّثَنَا مُوسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، حَدَّثَهُ قَالَ: «أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ فَتَبِعْتُ الْقُرْآنَ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُرَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ»، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} [التوبة: ١٢٨] حَتَّى خَاتِمَةَ بَرَاءة. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ بِهَذَا، وَقَالَ: مَعَ أَبِي خُرَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ.

٧٤٢٦ - حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

٧٤٢٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ».

٧٤٢٨ - وَقَالَ الْمَاجِشُونُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ».

قوله: (بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: ٧] {وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة:

١٢٩]) ذكر العرش؛ لأن العرش جمع بين أمرين:

الأمر الأول: أكبر المخلوقات.

الأمر الثاني: أعلى المخلوقات.

فإثبات العرش يلزم من ذلك إثبات العلو؛ لأن الله فوق العرش، قال سبحانه:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فإثبات العرش من أدلة إثبات العلو، فالعرش

جمع بين أنه أعظم المخلوقات وأعلى المخلوقات كما ذكر هذا السفاريني في كتابه:

(لوائح الأنوار ولوائح الأفكار) (١٩٦).

قوله: (قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: {اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} [البقرة: ٢٩]: «ارْتَفَعَ»، {فَسَوَّاهُنَّ}

[البقرة: ٢٩]: «خَلَقَهُنَّ» وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {اسْتَوَى} [البقرة: ٢٩]: «عَلَا» {عَلَى الْعَرْشِ}

[الأعراف: ٥٤] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {الْمَجِيدُ} [ق: ١]: «الكَرِيمُ»، و{الْوَدُودُ} [البروج: ١٤]: «الْحَبِيبُ»، يُقَالُ: «حَمِيدٌ مَجِيدٌ، كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ، مَحْمُودٌ مِنْ حَمِدٍ».

أهل السنة يُفسرون الاستواء بمعنى علا وارتفع وصعد واستقر، سواء عُدي بـ(على) أو (إلى)، فكلاهما بمعنى علا وارتفع.

وقد ذكر ابن تيمية في (شرح حديث النزول) <sup>(١٩٧)</sup> أن تفسير قوله: ﴿اسْتَوَىٰ إِلَىٰ﴾ بمعنى (قَصَدَ) تفسير أهل البدع؛ وذلك أنهم فسروا الفعل بالإرادة والقصد لثلاثين الف مرة، وهو الاستواء، أما أهل السنة فيثبتون فعل الاستواء وإذا عدي بـ(إلى) يجعلونه بمعنى القصد إلى السماء مع إثبات الفعل كما فعل ابن جرير في تفسيره <sup>(١٩٨)</sup> وابن القيم في النونية <sup>(١٩٩)</sup> وابن كثير في تفسيره <sup>(٢٠٠)</sup>.

ويقرر أهل السنة أن قوله تعالى: ﴿اسْتَوَىٰ إِلَىٰ﴾ و ﴿اسْتَوَىٰ عَلَىٰ﴾ دالان على علو الله سبحانه.

قوله: (رَوَّجَنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَرَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ) فيه إثبات العلو.

(١٩٧) «شرح حديث النزول» (ص ٦٢).

(١٩٨) «تفسير الطبري» (١ / ٤٥٦).

(١٩٩) «نونية ابن القيم» (المتن / ١١٤).

(٢٠٠) «تفسير ابن كثير» (١ / ٢١٣).

قوله: **(إِنَّ اللَّهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ)** (في) بمعنى (على)، كقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٩] أي على الأرض، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا صَلَّبْتَكُم فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي على، فعلى هذا يختلف معنى (في) باختلاف معنى السماء، فإن أُريد بالسماء السابعة فتكون (في) بمعنى (على).

وإن أُريد بالسماء كل ما سماك فتكون (في) على بابها في السماء العدمية - فوق المخلوقات عند انعدامها-، وقد ذكر هذا ابن تيمية في كتابه: (التدمرية) (٢٠١).

وقوله: **(إِنَّ اللَّهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ)** هذا الحديث آخر الثلاثيات للإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٠٢)، فإن للبخاري في جامعه الصحيح ثلاثة وعشرين حديثاً من الثلاثيات، بين هذا العيني في شرحه على البخاري (٢٠٣)، فيكون بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة رجال.

قوله: **(فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَكَانَهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: اِرْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطَّلِعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، ثُمَّ قَرَأَ: ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا " فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ)** هذا الحديث مما تقدم ذكره، ولم يذكر البخاري الشاهد فيه، وفي رواية في البخاري: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ»، لكنه لم يأت بالشاهد وإنما ساقه في موضع آخر، فأشار إلى الشاهد بروايته في موضع آخر، وفي هذا الحديث إثبات العرش.

قوله: **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ)** وفي الآية: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ثم قال في آخر الآية: ﴿هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

(٢٠١) «التدمرية» (ص ٨٧).

(٢٠٢) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٥ / ١١٤).

(٢٠٣) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢ / ١٥٣).

قوله: (يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»)) أتى بلفظ (لا إله إلا الله العليم الحليم) والمشهور في البخاري ومسلم: (العظيم)، وهي أكثر الروايات، فالرواية الثابتة (العظيم الحليم) لذا الوجه الصواب في هذا الحديث: (لا إله إلا الله العظيم الحليم)، ولم يروه مسلم إلا بلفظ (العظيم الحليم) وهو الأشهر في البخاري إلا هذا الموضع.

وإن ما جاء من باب الأذكار فإنه توقيفي في لفظه، فلما ذكر السيوطي في كتابه: (تدريب الراوي) (٢٠٤) والسخاوي في (فتح المغيث) (٢٠٥) مبحث رواية الحديث بالمعنى ذكر أن ما كان من باب الأذكار فإنه لا يدخل في الرواية بالمعنى؛ لأنه متعبد بلفظه.

قوله: (وَقَالَ الْمَاجِشُونُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ»)) ذكره البخاري تعليقًا، وقد وصله في موضع آخر.

وقد اختلف العلماء في عدد النفخات، وأصح الأقوال أن النفخات نفختان، نفخة الصعق ونفخة البعث، وليس هناك صعقة عند مجيء الرب للقضاء بين العباد، ولا دليل على ذلك، ولم يذكر القرآن إلا هاتين النفختين قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى

(٢٠٤) «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» (١ / ٥٦١)، وانظر: (١ / ٥٣٧).

(٢٠٥) «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» (٣ / ٢٠٥).

فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ [الزمر: ٦٨] فيكون هذا الحديث على ظاهره، وأن النبي ﷺ إذا أفاق بعد النفخة الثانية فلا يدري هل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يُصعق أم أنه صعق لكن أفاق قبله ﷺ مجازاة بصعقة الطور بأن هيأ له هذا المقام وهو أن يُفبق قبله، كما بيّن هذا جماعة منهم الحلبي (٢٠٦).

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} [المعارج: ٤] (٢٠٧)، وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: ١٠] وَقَالَ أَبُو جَمْرَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِأَخِيهِ: اعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْحَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ» يُقَالُ: {ذِي الْمَعَارِجِ} [المعارج: ٣]: «الْمَلَائِكَةُ تَعْرُجُ إِلَى اللَّهِ».

٧٤٢٩ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ: مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ " .

٧٤٣٠ - وَقَالَ خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» وَرَوَاهُ وَرَقَاءُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ» .

٧٤٣١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: " أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَدْعُو بِهِنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ".

٧٤٣٢ - حَدَّثَنَا قَيْصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، أَوْ أَبِي نُعْمٍ، شَكَّ قَيْصَةُ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بُعِثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ، فَكَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ وَهُوَ بِالْيَمَنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تَرْبَتِهَا، فَكَسَمَهَا بَيْنَ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسِ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي مُجَاشِعٍ، وَبَيْنَ عَيْنَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ بْنِ عَلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، فَتَغَيَّظَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ فَقَالُوا: يُعْطِيهِ صِنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ، وَيَدْعُنَا قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ»، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِيءُ الْجَبِينِ، كَثُ اللَّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اتَّقِ اللَّهَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُهُ، فَيَأْمُنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَلَا تَأْمُنُونِي»، فَسَأَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ قَتْلَهُ، أَرَاهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَمَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِيِّ هَذَا، قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لِيُنْ أَدْرَكْتَهُمْ لِأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

٧٤٣٣ - حَدَّثَنَا عِيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس: ٣٨] قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} ...) المراد من هذا الباب إثبات العلو، فإن الأدلة تنوعت في إثبات العلو، ذكر ابن القيم في كتابه: (أعلام الموقعين) (٢٠٨) ثماني عشرة طريقة في القرآن والسنة في إثبات العلو، فبين أن قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] والعروج لا يكون إلا لمن في السماء... وهكذا.

والبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ نَوَّعَ مِنَ الْأَدْلَةِ فِي إِثْبَاتِ الْعُلُو.

قوله: (وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}) لا يكون الصعود إلا لمن كان في العلو.

قوله: (اعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ) وفيه إثبات العلو، وهكذا ما بعده قوله: (وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ») يرتفع إليه سبحانه فدل على علوه.

قوله: (أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَدْعُو بِهِنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) وجه الدلالة إثبات العرش، وتقدم أن إثبات العرش يقتضي إثبات العلو.

قوله: (فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُهُ، فَيَأْمُنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَلَا تَأْمَنُونِي) وفي رواية للحديث: «يأتيني خبر السماء صباح ومساء»، ثم يلاحظ قوله: «أهل الأرض» يُشير إلى مفهوم المخالفة وهم أهل السماء.

قوله: (مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ) وإثبات العرش فيه إثبات العلو.

إذن تنوعت الأدلة في إثبات العلو، وأهل السنة اهتموا بمسألة العلو وأفردوا ذلك بمصنفات، وممن أطال الكلام في ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: (اجتماع الجيوش الإسلامية)، فذكر الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الأربعة، إلى غيرهم من أئمة الإسلام.

وممن أطال الكلام على ذلك الذهبي في كتابه: (العلو) رَحِمَهُ اللَّهُ وأطال النقل عن أئمة الإسلام، وذكر شيئاً كثيراً، فأئمة السنة اهتموا بمسألة العلو اهتماماً كبيراً.

وينبغي أن يُعلم أن المتكلمين خالفوا في العلو، فالجهمية يقولون: إن الله في كل مكان لكن ليس فوق العرش. والمعتزلة لهم قولان، قولٌ كالجهمية وقولٌ آخر لا داخل العالم ولا خارج العالم ولا متصل به ولا منفصل. والأشاعرة يقولون: لا داخل العالم ولا خارج العالم ولا متصل به ولا منفصل.

فلاحظ أنهم أجمعوا على عدم إثبات العلو.

أما كلام أوائل الأشاعرة كأبي الحسن الأشعري ونحوه، فإنه محتمل لإثبات العلو، ومحتمل أنه على وجه التفويض، ونقل السجزي عن أبي الحسن الأشعري أنه يُنكر أن الله في السماء، نقله في رسالته (الرد على من أنكر الحرف والصوت) <sup>(٢٠٩)</sup> وهي رسالته لأهل زييد.

ولأبي الحسن الأشعري كلام آخر ظاهره إثبات العلو <sup>(٢١٠)</sup>، فالله أعلم هل هو على وجه التفويض أو يُثبت حقيقة وإنما خالفه الأشاعرة بعد ذلك.

وقد يتردد في بعض ما ينقله السجزي عن أبي الحسن الأشعري؛ لأنه -والله أعلم- ينقل عن ابن فورك، وقد ذكر ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** أن نقل ابن فورك عن أبي الحسن الأشعري لا يُعتمد عليه <sup>(٢١١)</sup>.

فالمقصود أن مذهب أبي الحسن الأشعري ومتقدمي الأشاعرة في إثبات العلو فيه تردد -والله أعلم-، أما المتأخرون منهم فإنهم مجمعون على إنكار العلو، بل من أثبت العلو عندهم فهو كافر.

(٢٠٩) «رسالة السجزي إلى أهل زييد» (ص ١٩٢).

(٢١٠) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ٤٠٧).

(٢١١) «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٤ / ٣٠٩).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] (٢١٢).

٧٤٣٤ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، وَهَشِيمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسِ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا».

٧٤٣٥ - حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ يُوسُفَ الْيَرُبُوعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو شَهَابٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا».

٧٤٣٦ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، حَدَّثَنَا بِيَانُ بْنُ بَشْرٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ [ص: ١٢٨] حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ».

٧٤٣٧ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ كَذَلِكَ»، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا

فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا - شَكَ إِبْرَاهِيمَ -، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعَا الرُّسُلُ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟"، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِقِيِّ بِعَمَلِهِ - أَوْ الْمُؤَثَّقُ بِعَمَلِهِ -، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ، أَوْ الْمُجَارِي، أَوْ نَحْوُهُ، ثُمَّ يَتَجَلَّى، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ، مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتَحَشُوا، فَيَصَّبُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُثُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُثُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّبِيلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَصْرَفَ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَوُوهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ [ص: ١٢٩] فَيَقُولُ: لَا، وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاقِيقَ مَا شَاءَ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ

مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ أَبَدًا؟ وَيَلِكُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَعْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، وَيَدْعُو اللَّهَ، حَتَّى يَقُولَ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِيقَ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَبْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْخَلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: وَيَلِكُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَعْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، لَا أَكُونَنَّ أَشَقَى خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّنْ، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيَذْكُرُهُ، يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ: اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ."

٧٤٣٨ - قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: «وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ مَعَهُ»، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَذَلِكَ: الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ.

٧٤٣٩ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا

رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا» ثُمَّ قَالَ: " يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغَبْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَانَهَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ [ص: ١٣٠] لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْسِبُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارْتَنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْيَوْمِ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يَكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ "، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: " مَدْحَضَةٌ مَرِيَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ

الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ  
 آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ  
 يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا  
 يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ  
 فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيَحْرَمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ  
 وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ  
 يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ  
 مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ  
 فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا " قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَقْرَأُوا: {إِنَّ اللَّهَ لَا  
 يَظْلُمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا} [النساء: ٤٠] " فَيَسْفَعُ النَّيِّونَ وَالْمَلَائِكَةَ  
 وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ  
 امْتَحَسُوا، فَيُلْقُونَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتِيهِ كَمَا تَنْبُتُ  
 الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا  
 كَانَ إِلَى الشَّمْسِ [ص: ١٣١] مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ،  
 فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمُ اللَّوْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ  
 الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيَقَالُ  
 لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ "

٧٤٤٠ - وَقَالَ حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: " يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ:  
 لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبَّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ،

خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ،  
لِتَشْفَعَ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، قَالَ: وَيَذْكُرُ  
خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: أَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نُهِِيَ عَنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ  
اللهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ:  
سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ:  
إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى: عَبْدًا آتَاهُ اللهُ  
التَّوْرَةَ، وَكَلَّمَهُ، وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ  
خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسِ، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ،  
قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا  
تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ  
وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعَنِي، فَيَقُولُ: ارْزُقْ مُحَمَّدًا، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ  
تُشْفَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، قَالَ: فَارْزُقْ رَأْسِي، فَأْتِنِي عَلَى رَبِّي بِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعْ  
فَيُحَدِّثُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، - قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: فَأَخْرُجُ  
فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ: فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ،  
فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْزُقْ  
مُحَمَّدًا، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، قَالَ: فَارْزُقْ رَأْسِي، فَأْتِنِي عَلَى رَبِّي بِشَاءٍ  
وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعْ فَيُحَدِّثُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، - قَالَ قَتَادَةُ،  
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ: فَاسْتَأْذِنُ  
عَلَى رَبِّي [ص: ١٣٢] فِي دَارِهِ، فَيُؤْذِنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ

اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعُ تُشْفَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُنْبِي عَلَى رَبِّي بِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمْنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، - قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ "، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: ٧٩] قَالَ: «وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ».

٧٤٤١ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي عَمِّي، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ إِلَيَّ الْأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ وَقَالَ لَهُمْ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ».

٧٤٤٢ - حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقُّ، وَالنَّارُ حَقُّ، وَالسَّاعَةُ حَقُّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ طَاوُسٍ،

«قِيَامٌ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «الْقِيَوْمُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»، وَقَرَأَ عُمَرُ، الْقِيَامُ، «وَكِلَاهُمَا مَدْحٌ».

٧٤٤٣ - حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنِي الْأَعْمَشُ، عَنْ حَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ».

٧٤٤٤ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَتَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَتَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

٧٤٤٥ - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ [ص: ١٣٣] بْنُ أَعِينٍ، وَجَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُصَدِّقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ» [آل عمران: ٧٧] الْآيَةَ.

٧٤٤٦ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ

كَاذِبَةٌ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالٌ امْرِيٍّ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ".

٧٤٤٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا: مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ، ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟"، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ يُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلَدَةَ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ النَّحْرِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ - عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضَلَالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضٌ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ، - فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ: صَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ -، ثُمَّ قَالَ: أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ".

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} [القيامة: ٢٣])

ومعنى ناضرة: حسنة، ومعنى إلى ربه ناظرة: أنها تنظر إلى الله.

وقد ذكر الإمام البخاري هذا الباب لإثبات رؤية الله يوم القيامة، والجهمية والمعتزلة يُنكرون الرؤية، والأشاعرة يقولون: يُرى إلى غير جهة، ومقتضى كلامهم أنه لا يُرى كما صرَّح بهذا الرازي<sup>(٢١٣)</sup>.

قوله: **(«إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ...»)**

قوله: **(كَمَا تَرُونَ)** شبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، ذكر هذا أبو عثمان الصابوني<sup>(٢١٤)</sup>، وشيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٢١٥)</sup> وغيره من أئمة السنة.

قوله: **(فَيَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ)** فيه إثبات الصورة

لله سبحانه وتعالى.

ثم في هذا الحديث وفي غيره أن الله يتغيَّر في صورته، فهل التغير من الله؟ أو في

أعين الناس؟

ذكر أبو عاصم النبيل والدارمي في رده على بشر المريسي<sup>(٢١٦)</sup> أن التغير في أعين

الناس، لا في الله سبحانه، وخالف بعض أهل العلم كابن تيمية<sup>(٢١٧)</sup> لكن قول هؤلاء

مقدم؛ لأنهم من أئمة السنة، وهم مقدمون على غيرهم، فإننا مأمورون أن نفهم الكتاب

والسنة بفهم السلف.

(٢١٣) بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٤٠١).

(٢١٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص ٢٦٤).

(٢١٥) «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٠٧).

(٢١٦) «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ١٣٤).

(٢١٧) «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ١٤٣).

قوله: **(فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ)** فيه نسبة الدار إلى الله، وهذا من باب الإخبار، وقد جاءت رواية أخرى: **«فَأَسْتَأْذِنُ رَبِّي تَحْتَ الْعَرْشِ»**، وهذا المراد بداره؛ لأن الدار والمكان يُطلق على الله من باب الإخبار لا من باب الصفات، فإن الله مكاناً وهو العلو، وهذا بخلاف المتكلمين فإنهم يُنكرون هذا بل يُكفرون من أثبت لله المكان، أما أهل السنة فيثبتون لله المكان وهو فوق الخلق سبحانه.

وهذا المقام المحمود، وليعلم أن المقام المحمود هو الشفاعة كما في هذا الحديث، وقد أجمع أهل السنة على أن المقام المحمود أن يُقعد ويجلس الله نبيه معه على العرش، ثبت عن مجاهد<sup>(٢١٨)</sup> في قوله تعالى: **﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾** [الإسراء: ٧٩] قال: أن يُقعده الله معه على العرش.

وتوارد أهل السنة على إثبات هذا، وحكوا إجماعات على ذلك كما في (السنة) للخلال<sup>(٢١٩)</sup>، بل بدعوا وشنعوا على من خالف في ذلك.

ولا تنافي بين أنها الشفاعة كما ثبت عن النبي ﷺ وبين قول مجاهد، فإن تفسير التابعي حجة كما ذهب إلى هذا أحمد في رواية<sup>(٢٢٠)</sup>، ويدل عليه كلام الشافعي<sup>(٢٢١)</sup>

(٢١٨) السنة لأبي بكر الخلال (٢٣٣/١) رقم: (٢٦٨)، من طرق عن محمد بن فضيل عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: ٧٩].

(٢١٩) المصدر السابق، وانظر السنة للخلال (٢٣٢/١) نقله عن أبي بكر الصاغاني كما تقدم نقله، وعن الجريري، وعن أبي بكر يحيى بن أبي طالب وغيرهم.

(٢٢٠) «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤/٦٣٦).

(٢٢١) «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤/٦٣٦).

وهو قول عند الشافعية والحنابلة لاسيما عن مثل مجاهد؛ لأنه ثبت عنه عند ابن جرير أنه كان يُوقف ابن عباس عند كل آية يسأله عنها<sup>(٢٢٢)</sup>.

وأهل السنة تواردوا على قبول هذا وحكاية الإجماعات عليه، بل قال الذهبي في كتابه: (العرش): هو ثابت عن مجاهد بلا شك<sup>(٢٢٣)</sup>.

فلا تنافي بينهما كما يُستفاد من صنع ابن جرير<sup>(٢٢٤)</sup>، وهو قول الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم<sup>(٢٢٥)</sup>، أنه يأتي فيسجد فيستأذن ربه، فيقعد على العرش فيشفع، فيكون بهذا له المقام المحمود، أعلى مقام وأحسن مقام، المعنوي والحسي، أما المعنوي فالشفاعة العظمى له دون غيره، أما الحسي فقد بلغ أعلى مكان ﷺ.

والغريب أن بعض علماء العصر يُنكر هذا، وهذا غلط بما أن أئمة السنة مجمعون عليه، فأين حجية فهم السلف والإجماع؟

(٢٢٢) «تفسير الطبري» (١ / ٨٥).

(٢٢٣) الذهبي في "العرش" (٢ / ٢٧٢-٢٧٨)، وانظر الخلال في "السنة" (١ / ٢٥٠-٢٥٧).

(٢٢٤) تفسير الطبري (١٥ / ٥١).

(٢٢٥) «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ» (٢ / ١٣٦)،

«(٤٥١- المقام المحمود)، وانظر: عمن نقل الخلال الإجماع عنه كأبي بكر الصاغاني كما تقدم نقله،

وعن الجريري، وعن أبي بكر يحيى بن أبي طالب وغيرهم. السنة للخلال (١ / ٢٣٢).

قوله: **«أَصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ»** وجه الدلالة قوله: **«حتى تلقوا الله»**، وقد قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي**: (حادي الأرواح): أجمع أهل اللسان على أن اللقي لمن يُبصر يفيد الرؤية<sup>(٢٢٦)</sup>.

وذكر ثعلب عند قوله تعالى: **﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾** [الأحزاب: ٧٤] قال: اللقي مع التحية والثناء والمدح لا يفيد إلا الرؤية<sup>(٢٢٧)</sup>، وهذا لا إشكال فيه، لكن هل مطلق اللقي يفيد الرؤية؟ هذا هو الأصل كما حكى ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** إجماع أهل اللسان أي أهل اللغة<sup>(٢٢٨)</sup>.

إلا أن يمنع من ذلك مانع أو تدل عليه قرينة، فإن في كلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** ما يدل أن اللقي يفيد الرؤية وأن من اللقي ما لا يفيد الرؤية، فكأن المعنى -والله أعلم- أن الأصل في اللقي أنه يفيد الرؤية إلا لقرينة أو شيء آخر.

قوله: **«أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ»** الشاهد قوله: **«وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ»** ففيه إثبات اللقاء، والأصل في إثبات اللقاء أنه إثبات للرؤية.

قوله: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلَا حِجَابٌ يَحْبُجُّهُ»** فيه إثبات اللقي، والأصل في اللقي أنه الرؤية، وعلى هذا أئمة السنة، ويدل عليه صنيع الإمام البخاري هنا.

(٢٢٦) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢ / ٦٠٨).

(٢٢٧) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢ / ٧١٠).

(٢٢٨) سبق رقم الحاشية (١٩٣).

قوله: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ...) الأصل أن ينظر إليهم

سبحانه وتعالى .

قوله: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ

لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ

لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ

فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ).

وجه الدلالة هنا يفهم بالمعنى العام، ليس في الحديث النص وإنما بالمعنى

العام، لما يقول: «اليوم أمنعك فضلي ...»، أما قوله: «ولا ينظر إليهم» فالبحث في نظر

العباد لا في نظر الله، فكأن وجه الدلالة لما يقول سبحانه: «اليوم أمنعك فضلي» أي

الأصل أن يكون معه اللقي بدلالة الأدلة السابقة.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (٢٢٩).

٧٤٤٨ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَسَامَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ لِبْعُضِ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْضِي، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهَا، فَأَرْسَلَ «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرِ وَلْتَحْتَسِبِ»، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ فَأَقْسَمَتْ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقُمْتُ مَعَهُ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبِيُّ بِنُ كَعْبٍ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا نَاوَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ وَنَفْسُهُ تَقْلُقُ فِي صَدْرِهِ - حَسِبْتُهُ قَالَ: كَانَتْهَا شَنَّةٌ - فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ أَتَبْكِي، فَقَالَ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ».

٧٤٤٩ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ: - يَعْنِي - أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا، قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلَاثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَمْتَلِئُ، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ قَطُّ " .

٧٤٥٠ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيُصِيبَنَّ أَقْوَامًا سَفَعٌ مِنَ النَّارِ، بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، يُقَالُ لَهُمُ الْجَهَنَّمِيُّونَ»، وَقَالَ هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}) إن رحمة الله نوعان:

الرحمة الأولى: صفته، الرحمن الرحيم وما اشتق منهما.

الرحمة الثانية: خلقه، كما أخرج مسلم (٢٣٠) من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَنْزَلَ رَحْمَةً وَاحِدَةً يَتَرَاكُمُ بِهَا الْعِبَادَ، وَقَالَ فِي الْجَنَّةِ: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وقد ذكر هذا ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي: (بدائع الفوائد) (٢٣١)، وذكر نحوه ابن بطال (٢٣٢) في شرحه على البخاري مع تأويله صفة الرحمة وإرجاعها للإرادة كعاداته.

والرحمة التي هي خلقه مشتقة من صفته، فلما كان الرحمن الرحيم خلق هذه الرحمة، كما دل على هذا كلام ابن بطال في شرحه على البخاري، فقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ

(٢٣٠) «صحيح مسلم» (٨ / ٩٦): (٢٠ - ٢٧٥٣).

(٢٣١) «بدائع الفوائد» (٢ / ٦٧٦).

(٢٣٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩ / ٢١٣).

الله قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦] تحتمل الرحمة التي هي صفة الله، وتحتمل الرحمة المخلوقة كالجنة، كما يستفاد من كلام ابن بطال رَحْمَةُ اللَّهِ.

فكأن البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ يقول: إن رحمة الله تُطلق على ما هو مخلوق كما تُطلق على ما هو صفته فيما تقدم من الأبواب.

قوله: (فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي) أطلق الرحمة على المخلوقة.

وقوله: (وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ) تشمل صفته وخلقه.

وفي الحديث قوله: «وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ» أي يُنشئ للنار خلقاً فيدخلهم النار، وقد بين ابن تيمية في: (منهاج السنة) (٢٣٣) وابن القيم في: (أحكام أهل الذمة) (٢٣٤) أن هذا لا يصح عن النبي ﷺ، وبينوا من جهة الرواية أن الأحاديث على خلاف هذا، ثم أن الله لا يُعاقب العبد إلا بعمله، فكيف يخلق خلقاً ثم يعاقبهم على هذا، فإن عدل الله ألا يعاقب أحداً إلا بما كسبت يده، بل هذا خطأ دخل على الراوي، والوجه الصواب أنه يُنشئ للجنة أقواماً.

ففرق بين أن يُعامل الله بالفضل، فقد عامل أولئك بفضله فأدخلهم الجنة، وبين أن يحرمهم العدل، فإن الله لا يظلم أحداً سبحانه.

(٢٣٣) «منهاج السنة النبوية» (٥ / ١٠١).

(٢٣٤) «أحكام أهل الذمة» (٢ / ٢٣٠).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} (٢٣٥).

٧٤٥١ - حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ عَلْقَمَةَ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالْأَرْضَ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالْحِجَالَ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالْأَنْهَارَ عَلَى إِضْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِضْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ: أَنَا الْمَلِكُ، «فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ»: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١].

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا}) كأن مراده من هذا الباب إثبات الصفات الفعلية، وأن الصفات الفعلية تتعلق بالله، وليعلم أن كل المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة لا يُثبتون شيئاً من الصفات الفعلية؛ لأن هذا يتنافى مع أصل عندهم وهو دليل الأعراض وحدوث الأجسام. فيقولون: كل ما قام به شيءٌ جديد وفعل جديد فهو جسم، والأجسام مخلوقة، لذا ليس أحد من المتكلمين لا أبو الحسن الأشعري ولا من بعده من الأشاعرة وقبلهم المعتزلة والجهمية من يُثبت شيئاً من الصفات الفعلية.

فمراد الإمام البخاري من هذا الباب - والله أعلم - إثبات تعلق الصفات الفعلية بالله عز وجل؛ لأنه قال: **{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا}** ما كان ماسكاً لها ثم تجدد له فعل الإمساك، سبحانه وتعالى.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ مَا جَاءَ فِي تَخْلِيْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْخَلَائِقِ «وَهُوَ فِعْلُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَمْرُهُ، فَالرَّبُّ بِصِفَاتِهِ وَفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَكَلَامِهِ، وَهُوَ الْخَالِقُ الْمُكُونُ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَا كَانَ بِفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَتَخْلِيْقِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَهُوَ مَفْعُولٌ مَخْلُوقٌ مُكُونٌ» (٢٣٦).

٧٤٥٢ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَتُّ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا، لَأَنْظُرَ كَيْفَ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ، «فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، أَوْ بَعْضُهُ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَرَأَ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} إِلَى قَوْلِهِ {لِأُولِي الْأَبْصَارِ} [آل عمران: ١٩٠] «ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ، ثُمَّ صَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً»، ثُمَّ أَذَّنَ بِالْأَلِّ بِالصَّلَاةِ، «فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى لِلنَّاسِ الصُّبْحَ».

مراد الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ من هذا الباب الرد على القدرية القائلين بأن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله لا يخلق فعل العبد، فالقدرية يقولون: إن الله لا يخلق فعله وإنما يفعل العبد فعله ويخلقه.

قوله: **(وَهُوَ فِعْلُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَمْرُهُ)** ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فكله بأمره وخلقه سبحانه وتعالى، وكل ما سوى الله فهو مخلوق، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١].

قوله: **(فَالرَّبُّ بِصِفَاتِهِ وَفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَكَلَامِهِ)** والرب هو الله بأسمائه وصفاته، قوله: **(وَهُوَ الْخَالِقُ الْمُكُونُ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَا كَانَ بِفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَتَخْلِيْقِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَهُوَ مَفْعُولٌ مَخْلُوقٌ مُكُونٌ)** إن كل المخلوقات بأمره وبتكوينه ويخلقها، فنحن مخلوقون، (مفعولون)، ويدخل في ذلك أفعال العباد.

قوله: **(قَعَدَ فَنظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَرَأَ):** **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} إِلَى قَوْلِهِ {لِأُولِي الْأَلْبَابِ}** فيه أن الله خلق السماوات والأرض، وتقدم في الأدلة أنه خلق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، وهذا رد على القدرية.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} [الصفات: ١٧١] (٢٣٧).

٧٤٥٣ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: " لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي ".

٧٤٥٤ - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: " أَنْ خَلَقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤَدِّنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ".

٧٤٥٥ - حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «يَا جَبْرِيلُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»، فَنَزَلَتْ: {وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا} [مريم: ٦٤] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: كَانَ هَذَا الْجَوَابَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

٧٤٥٦ - حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ عَلْقَمَةَ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَى عَسِيبٍ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ [ص: ١٣٦] فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ، «فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى الْعَسِيبِ وَأَنَا خَلْفُهُ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقَالَ»: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥] فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَدْ قُلْنَا لَكُمْ لَا تَسْأَلُوهُ.

٧٤٥٧ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصَدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ».

٧٤٥٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ أَبِي وَائِلٍ، عَنِ أَبِي مُوسَى، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

قوله: (بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [الصفات: ١٧١])

وفي هذا الباب رد على القدرية من جهة أن كل فعل يفعلُه العبد داخل تحت ما قضاه الله وقدره، فإذا كان الله قد قضى وقدر كل شيء ومن ذلك أفعال العباد، فهي مخلوقة، ولم يخلق العبد فعل نفسه.

قوله: **(إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي)**  
 الشاهد قوله: **(لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ)** أي جميع الخلق، والألف واللام لاستغراق الجنس.  
 قوله: **(ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤَدِّنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٌ...)** هذا الحديث من أقوى الأدلة في الرد على القدرية؛ لأنه قد كتب المقادير، فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، إلخ، كل هذا قد كتبه قبل وقدره فلا يكون إلا ما قدره.

إذن، لله حكم على أفعال العباد، فهي بهذا مخلوقة ولم يخلق العبد فعل نفسه.  
 قوله: **(يَا جِبْرِيلُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا، فَنَزَلَتْ: {وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا})** وجه الدلالة: أن فعل الملائكة كله راجع إلى ما قضى الله، فلا يخرج أحدٌ عن قضاء الله، لا الملائكة ولا غيرهم.

قوله: **(فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى الْعَسِيبِ وَأَنَا خَلْفُهُ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقَالَ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا})** الشاهد قوله: **(قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)** أي مما أمر الله به وقضاه، **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** [يس: ٨٢] والروح هي روح العباد.

قوله: **(«تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَنَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»)** الشاهد من هذا الحديث -والله أعلم- قوله: **(أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي**

**خَرَجَ مِنْهُ**) أي أن فعل العبد من الذهاب والرجوع كله تحت حكم الله سبحانه وقضائه، فدل على أن أفعال العباد مخلوقة.

وقوله: **(وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ)** المراد بالكلمات الكلمات الشرعية لا الكونية، أن الله سبحانه وعد المجاهد بالشواب الجزيل... إلخ.

قوله: **(«مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»)** الشاهد من هذا الحديث -والله أعلم- قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾** [الصفات: ١٧١] فسبقت كلمة الله أن ينصرهم، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فإنه منصور، فدل على أن أفعال العباد لا تخرج عن قضاء الله وقدره.

وهذا مستفاد من كلام القسطلاني <sup>(٢٣٨)</sup>.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النحل: ٤٠] (٢٣٩).

٧٤٥٩ - حَدَّثَنَا شَهَابُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ».

٧٤٦٠ - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِيٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يَحْيَى، سَمِعْتُ مُعَاذًا، يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ.

٧٤٦١ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مُسَيْلَمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعُدُّوا أَمْرَ اللَّهِ فِيكُمْ، وَلَنْ أَدْبُرْتَ لِيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ».

٧٤٦٢ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ حَرْثِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيْبٍ مَعَهُ، فَمَرَرْنَا عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ أَنْ يَحْيِيَ فِيهِ شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

لَسْأَلْنَهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا الرُّوحُ؟ «فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ»  
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ»، فَقَالَ: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا  
مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)، قَالَ الْأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا.

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}

[النحل: ٤٠]) هذا الباب رد على القدرية، وإثبات أن أفعال العباد مخلوقة؛ لعموم قوله:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فكل ما أَرَادَهُ اللهُ فلا بد  
أن يقع، ومن ذلك أفعال العباد.

وفيه التفريق بين فعل العبد وفعل الله، وأن فعل العبد مخلوق وفعل الله غير

مخلوق؛ لأن قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا﴾ الأمر غير مخلوق وهو فعل الله.

بخلاف قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، والأمر مصدر، ومن المعلوم أن المصدر

يدل على الحدث وعلى الفعل، فهذا أصل المصدر، وقد يُراد بالمصدر الفعل وقد

يُراد به المفعول، فإن أُريد به الفعل كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا﴾ فهذا غير مخلوق، وإن

أُريد به المفعول كقوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فهذا مخلوق وهو المأمور، فالمأمور

مخلوق والأمر الذي هو الفعل ليس مخلوقاً.

قوله: ((لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ)) أمر الله

وهو المأمور وما أمر به الله، وأمر الله هنا قد يُراد به القيامة أو الريح التي تكون قبل.

قوله: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)

والروح مأمور أي مخلوق.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الكهف: ١٠٩] (٢٤٠).

{وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}، {إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} " {سَخَّرَ} [التوبة: ٧٩]: «ذَلَّل».

٧٤٦٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصَدِيقُ كَلِمَتِهِ، أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَسْكِنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الكهف: ١٠٩]) هذه الأدلة في بيان أن كل ما سوى الله مخلوق، والله هو باسمه وصفاته سبحانه، فعلى هذا كلامه غير مخلوق؛ لأنه صفة، وغضبه ورضاه غير مخلوق؛ لأنها صفة، واسمه الرحمن الرحيم غير مخلوق؛ لأنها أسماء، وما عدا ذلك فهو مخلوق.

وفي هذا رد على القدرية في أن أفعال العباد مخلوقة.

قوله: **{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}** وجه الدلالة أن كلام الله غير مخلوق، ووجه ذلك أنه لا ينفذ (بالدال) والذي لا ينفذ هو الله وصفاته، وما عدا الله وصفاته فإنه ينفذ، وفرق بين ينفذ (بالدال) وينفذ (بالذال)، فالتى بالذال نفذ في الشيء دخل فيه وخرج<sup>(٢٤١)</sup>، بخلاف ينفذ فهو بمعنى ينتهي<sup>(٢٤٢)</sup>.

قوله: **{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** الأمر غير مخلوق وما عداه مخلوق، وبينه قوله تعالى: **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** [يس: ٨٢].

قوله: **{تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصَدِيقُ كَلِمَتِهِ، أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرِدَّهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ}** الكلام غير مخلوق؛ لأنه أضيف إلى الله، وهو لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات.

(٢٤١) «لسان العرب» (٣/ ٥١٤)، و«تاج العروس من جواهر القاموس» (٩/ ٤٨٦).

(٢٤٢) «لسان العرب» (٣/ ٤٢٤)، و«تاج العروس من جواهر القاموس» (٩/ ٢٢٨).

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ فِي الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (٢٤٣).

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ} [آل عمران: ٢٦] {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الكهف: ٢٤] {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦] قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ: نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥].

٧٤٦٤ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ فَأَعِزُّوهُ فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ».

٧٤٦٥ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، ح وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي عَبْدُ الْحَمِيدِ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَالَ لَهُمْ: «أَلَا تَصَلُّونَ»، قَالَ عَلِيُّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا أَنْفُسَنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثْنَا، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَيَقُولُ: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف: ٥٤].

٧٤٦٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ [ص: ١٣٨] أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُّهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا، فَإِذَا سَكَتَتْ اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفِّئُ بِالْبَلَاءِ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ».

٧٤٦٧ - حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: " إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيَمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ، فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ، فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ، فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِيتُمُ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، قَالَ أَهْلُ التَّوْرَةِ: رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَقَلُّ عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا؟ قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا، فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءَ ".

٧٤٦٨ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ الْمُسْنَدِيُّ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ، فَقَالَ: " أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُحِذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَطَهْوَرٌ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَذَلِكَ إِلَيَّ اللَّهُ: إِنْ شَاءَ عَذَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ".

٧٤٦٩ - حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لَهُ سِتُونَ امْرَأَةً، فَقَالَ: لَأُطَوِّفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي فَلتَحْمِلَنَّ كُلُّ امْرَأَةٍ، وَلتَلِدَنَّ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ، فَمَا وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَلَدَتْ شِقَّ غُلَامٍ "، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَشَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ، فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

٧٤٧٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَدَّاءُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ فَقَالَ: «لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: طَهُورٌ بَلْ هِيَ حُمَّى تُفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا».

٧٤٧١ - حَدَّثَنَا ابْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، حِينَ نَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أُرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ»، فَفَضُّوا حَوَائِجَهُمْ، وَتَوَضَّؤُوا إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَضَّتْ، فَقَامَ فَصَلَّى.

٧٤٧٢ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَرَعَةَ، حَدَّثَنَا إِبرَاهِيمُ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، وَالْأَعْرَجِ، ح وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ فِي قَسَمٍ يُقَسَّمُ بِهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ الْيَهُودِيَّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ

بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيْمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَشَى اللَّهَ».

٧٤٧٣ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي عَيْسَى، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَالُ، فَيَحِدُّ الْمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا فَلَا يَقْرُبُهَا الدَّجَالُ، وَلَا الطَّاعُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

٧٤٧٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٧٤٧٥ - حَدَّثَنَا يَسْرَةُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ جَمِيلٍ اللَّحْمِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلْبٍ، فَنَزَعْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَنْزِعَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ ذَنْبًا أَوْ ذَنْبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنْ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ حَوْلَهُ بِعَطَنِ».

٧٤٧٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ [ص: ١٤٠] أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ - وَرُبَّمَا قَالَ جَاءَهُ السَّائِلُ - أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ، قَالَ: «اسْفَعُوا فَلْتَوْجَرُوا وَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ».

٧٤٧٧ - حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ،  
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ،  
ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلْيَعِزِّمْ مَسْأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا مُكْرَهَ لَهُ ".

٧٤٧٨ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ،  
حَدَّثَنِي ابْنُ شَهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:  
أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى أَهْوَى خَضِرٌ؟ فَمَرَّ  
بِهِمَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا  
فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقْيَيْهِ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ،  
قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " بَيْنَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ  
جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ فَقَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحِيَ إِلَيَّ مُوسَى، بَلَى  
عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقْيَيْهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ إِذَا فَقَدْتَ  
الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ مُوسَى يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى  
لِمُوسَى: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ  
أَذْكُرَهُ)، قَالَ مُوسَى: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)، فَوَجَدَا خَضِرًا،  
وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ ".

٧٤٧٩ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَقَالَ، أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ،  
حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ  
أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «نَزِلُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ  
تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ يُرِيدُ الْمُحَصَّبَ».

٧٤٨٠ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَمْ يَفْتَحْهَا، فَقَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: نَقْفُلُ وَلَمْ نَفْتَحْ، قَالَ: «فَاغْدُوا عَلَيَّ الْقِتَالِ»، فَغَدَوْا فَأَصَابَتْهُمْ جِرَاحَاتٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا [ص: ١٤١] إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فَكَانَ ذَلِكَ أَعْجَبَهُمْ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ.

قوله: (بَابُ فِي الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}) وفي بعض

النسخ: (باب في الإرادة)، وهذا الباب فيه إثبات الإرادة الكونية، وفي إثبات الإرادة الكونية رد على القدرية الذين يقولون: إن أفعال العباد غير مخلوقة؛ لأن القدرية لا يؤمنون إلا بإرادة واحدة وهي الإرادة الشرعية.

وقد ضل في هذا الباب طائفتان، القدرية والجبرية، فأثبتت القدرية الإرادة الشرعية دون الكونية، لذا سيذكر الأدلة في إثبات الإرادة الكونية للرد على القدرية، وأثبتت الجبرية الإرادة الكونية دون الشرعية.

ومن القدرية المعتزلة، ومن الجبرية الجهمية والأشاعرة، فإن الأشاعرة يُقررون الكسب، وحقيقة الكسب القول بالجبر، وسبب الضلال عند هاتين الطائفتين ذنوب العباد، مع ظنهم أنها تتعارض مع ما في كتاب الله وسنة النبي ﷺ من أن الله لا يريد لها ولا يحبها.

وقد بيّن هذا بوضوح ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ كَمَا فِي (مختصر الصواعق) (٢٤٤) وفي (شفاء العليل) (٢٤٥)، وابن أبي العز الحنفي في شرحه على الطحاوية (٢٤٦)، وابن تيمية في (منهاج السنة) (٢٤٧) وكما في (مجموع الفتاوى) (٢٤٨) لكن عبارة ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية وابن القيم في (مختصر الصواعق) أوضح.

وأوضح ذلك بالمثال:

رأى رجلان رجلاً يزني، فاحترارا، وقالوا: كيف يقع الزنا والله لا يريد ولا يرضاه؟ هل يمكن أن العبد يغلب الله سبحانه فيزني والله لا يريد الزنا؟

فقال أحدهما: لأنزه الله أقول: إن الله لم يُرده ولم يخلق أفعال العباد حتى لا أجعل الله خلقها وأرادها ثم يكون خلاف ما أراد فيقع التعارض لذا أثبتوا إرادة واحدة وهي الشرعية، فلازم قولهم: أن العبد زنا غصباً عن الله؛ -والعياذ بالله- لأن الله لم يخلق أفعالهم، وهؤلاء هم القدرية.

أما الرجل الثاني فقال: هذا الكلام صعب عليّ، لذا أقول: إن الله لا يُريد الزنا وقدّر على فلان أن يزني.

(٢٤٤) مختصر الصواعق المرسلّة (ص ٢٤١).

(٢٤٥) «شفاء العليل» (٢ / ٣٦٣).

(٢٤٦) «شرح العقيدة الطحاوية» (٢ / ٦٤٥).

(٢٤٧) «منهاج السنة النبوية» (٣ / ١٤ - ١٦).

(٢٤٨) «مجموع الفتاوى» (٨ / ٣٤٠)، (٢٠ / ١١١): (٨ / ١٩٠).

فقال له الأول: إن في الأمر تعارضًا؟

فقال: لا يُسأل عما يفعل سبحانه، وأفعاله لا علة لها ولا حكمة.

فلم يُثبت إلا إرادة واحدة وهي الإرادة الكونية، ثم قال: أفعال الله ليس لها حكمة ولا علة، فأراد أن يُنزه الله من شيء فوقه في شيء آخر شيء بأن جعل أفعال الله لغير حكمة - والعياذ بالله -.

أما أهل السنة فقالوا: نُؤمن بكل ما جاء من الأدلة، ونؤمن بإرادتين إرادة كونية وشرعية، فالشرعية يُحبها الله، سواء وقعت أو لم تقع، والكونية كل ما وقع سواء أحبه الله أو لم يحبه.

وقالوا: الإرادة الشرعية مرادة لذاتها والكونية مرادة لغيرها لا لذاتها لحكم، قال ابن تيمية في: (منهاج السنة) <sup>(٢٤٩)</sup> وكما في (مجموع الفتاوى) <sup>(٢٥٠)</sup>: كالدواء الكريه، يُراد من جهة نفعه وهذا من وجه، ويُبغض من جهة طعمه وهذا من وجه.

فخلق إبليس لا يريد الله لذاته لكن له حكم، منها أن يحصل الابتلاء الذي خلق الله العباد من أجله، ومنها أن بعض العباد يعصي الله فيكون حاله أحسن بعد التوبة... إلخ، فهو مراد لغيره لا لذاته.

(٢٤٩) منهاج السنة النبوية (٣ / ١٦٣ و ١٨٢ و ٢٠٧) و (٥ / ٣٢١ و ٣٩٥).

(٢٥٠) «مجموع الفتاوى» (٨ / ٣٦٣).

فجمع أهل السنة بين الأدلة، فقالوا: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] هذه إرادة شرعية نؤمن بها وهي مرادة لذاتها، وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] هذه إرادة كونية ليست مرادة لذاتها وإنما لغيرها.

فلما رأوا الزاني قالوا: هذا أراد الله كوناً لحكمة لا لذاته وإنما لشيء آخر، لكن لم يرده شرعاً، فخلصوا من التناقض وآمنوا بكل ما في كتاب الله وسنة النبي ﷺ.

وإن العلاقة بين الإرادة الشرعية والكونية علاقة عموم وخصوص وجهي، وهذا بمعنى: أن كل واحدة أعم من وجهه، فيجتمعان فيما وقع مما يحبه الله، كإيمان أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فقد وقع، فهو كوني، ويحبه الله فهو شرعي.

ويفترقان في كفر أبي طالب وعموم كفر الكفار الذين ماتوا على الكفر، فهذا لا يريده الله شرعاً لكن أراد كونه فوق، فبهذا تكون الإرادة الكونية أعم.

وتكون الشرعية أعم في إرادة إسلام الكافر، فإرادة إسلام أبي طالب وأبي لهب، يحبه الله؛ لأنه يريد للناس الخير لكن لم يسلموا، فهي إرادة شرعية لا كونية، فبينهما عموم وخصوص وجهي، وهذا ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية في: (منهاج السنة)

(٢٥١) وكما في (مجموع الفتاوى) (٢٥٢) وابن القيم في: (شفاء العليل) (٢٥٣)، والشيخ محمد خليل هراس في تعليقاته على (الواسطية) (٢٥٤).

وإذا أطلقت المشيئة فيراد بها الإرادة الكونية كما يُستفاد من صنيع العلماء كابن تيمية في: (منهاج السنة) (٢٥٥) وكما في (مجموع الفتاوى) (٢٥٦)، وابن القيم في (شفاء العليل) (٢٥٧) أنهم إذا استعملوا المشيئة يريدون بها الإرادة الكونية.

قوله: **{وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ}** هذه الإرادة الكونية.

قوله: **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}** الشاهد قوله: (مَنْ يَشَاءُ) فهذه الإرادة الكونية.

قوله: **{يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ}** هذه الإرادة الشرعية.

قوله: **{إِذَا دَعَوْتُمْ اللهُ فَاعْزَمُوا فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ اللهُ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ}** هذه الإرادة الكونية.

(٢٥١) «منهاج السنة النبوية» (٣ / ١٦).

(٢٥٢) مجموع الفتاوى (٨ / ١٨٨).

(٢٥٣) شفاء العليل (١ / ١٦٥).

(٢٥٤) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص ١٠٠).

(٢٥٥) «منهاج السنة النبوية» (٣ / ١٦).

(٢٥٦) مجموع الفتاوى (١٨ / ١٣١، ١٣٢).

(٢٥٧) شفاء العليل (٢ / ٣٤٤).

قوله: **«لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَشَنَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ، فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»** استثنى: أي قال: إن شاء الله. كما جاء في الرواية الأخرى، وهذه إرادة كونية.

قوله: **«لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»** هذه إرادة كونية، وقوله في الدعاء (إن شاء الله) وتقدم في حديث أنس في أول الحديث: **«لَا يَقُولُنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي»** (٢٥٨)، وفي حديث أنس وأبي هريرة قال: **«لَا يَقُلُ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ»** (٢٥٩)، فيقال: هذا الحديث **«طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»** (٢٦٠) ليس دعاءً وإنما من باب الإخبار، وفرق بين باب الإخبار وباب الدعاء.

قوله: **«فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ حَوْلَهُ بِعَطَنِ»** المراد به عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، والعبقري في اللغة الذي كُمل وقوي وبولغ في وصفه (٢٦١)، ويقال للرجل الذي كُمل في شيء ووي عبقري، وليس كما هو شائع أنه يطلق على الذكاء فحسب، وإنما من كُمل وقوي في أي صفة.

(٢٥٨) «صحيح البخاري» (٩ / ١٣٧): «٧٤٦٤».

(٢٥٩) «صحيح البخاري» (٩ / ١٣٩): «٧٤٧٧».

(٢٦٠) «صحيح البخاري» (٩ / ١٣٨): «٧٤٧٠».

(٢٦١) «تهذيب اللغة» (٣ / ١٨٧)، و«الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (٢ / ٧٣٤)، و«لسان العرب»

(٤ / ٥٣٤)، و«الغريبين في القرآن والحديث» (٤ / ١٢٢١).

قوله: **(لَا يَقُلُ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتُ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتُ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتُ، وَلِيَعِزِّمْ مَسْأَلَتَهُ)** هذه إرادة كونية، وهذا نهي والأصل في النهي أنه يقتضي التحريم لذا الصواب أن قول (إن شاء الله) في الدعاء محرم، وهو قول ابن عبد البر<sup>(٢٦٢)</sup> وجماعة. وهذا منتشر عندنا كثيرًا، يقول القائل: اللهم اغفر لنا جميعًا، فيقول الآخر: إن شاء الله. فهذا محرم، كما هو شائع عند غيرنا أنه يتكلم عن الماضي بقوله إن شاء الله، يقال له: ما اسمك؟ يقول: محمد إن شاء الله، وهذا من البدع، كما ذكره ابن تيمية في المجلد السابع من (مجموع الفتاوى)<sup>(٢٦٣)</sup>، فلا يقال في الماضي إن شاء الله ولا في الدعاء، وإنما يُقال في الماضي في العبادات فحسب بالنظر للقبول، كقول: صليت إن شاء الله بالنظر للقبول لا بالنظر إلى الفعل.

ويُقال في الفعل في المستقبل، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِسَيِّئِ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

قوله: **(فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ فَقَالَ مُوسَى: لَا)** لم يذكر البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ وجه الدلالة، لكن وجه الدلالة من قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] كما حكاه الله عنه في سورة الكهف، هذه إرادة كونية.

(٢٦٢) «التمهيد - ابن عبد البر» (١٩ / ٤٩)، و«فتح الباري» لابن حجر (١١ / ١٤٠).

(٢٦٣) «مجموع الفتاوى» (٨ / ٤٢٧).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: ٢٣] " وَلَمْ يَقُلْ: مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ " (٢٦٤).

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥] وَقَالَ مَسْرُوقٌ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ وَنَادَوْا»: {مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ} [سبأ: ٢٣] وَيُذَكَّرُ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ.

٧٤٨١ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يُبْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ قَالَ - عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفَذُهُمْ ذَلِكَ - فَإِذَا " {فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: ٢٣] قَالَ عَلِيٌّ، وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهِذَا، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ: حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ عَلِيٌّ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ: قَالَ سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ لِسُفْيَانَ: إِنَّ

إِنْسَانًا رَوَى عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَرْفَعُهُ: أَنَّهُ قَرَأَ: (قُرْغَ)، قَالَ سُفْيَانُ: هَكَذَا قَرَأَ عَمْرٌو، فَلَا أَدْرِي سَمِعَهُ هَكَذَا أَمْ لَا؟ قَالَ سُفْيَانُ: وَهِيَ قِرَاءَتُنَا.

٧٤٨٢ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»، وَقَالَ صَاحِبُ لَهُ: يُرِيدُ: أَنْ يَجْهَرُ بِهِ.

٧٤٨٣ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ ".

٧٤٨٤ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا غَرَّتْ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرَّتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: ٢٣]) " وَلَمْ يَقُلْ: مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ " المراد من هذا الباب إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، فإذا كان صفة لله فلا يكون مخلوقاً، ففي هذا رد على الجهمية والمعتزلة، والأشاعرة؛ لأن حقيقة مذهب الأشاعرة أن كلام الله مخلوق، فإنهم يقولون: الكلام نفسي لا لفظي، ومقتضى هذا أنه مخلوق.

قال الرازي<sup>(٢٦٥)</sup>: وحقيقة قولنا في كلام الله أنه مخلوق، فمعنى هذا أن كل ما يُتلفظ به ليس كلامًا لله، فعند الأشاعرة الكلام المسموع لا يسمى كلامًا، وإنما الكلام ما زور في النفس.

قال السجزي في رسالته لأهل زييد<sup>(٢٦٦)</sup>، -ورسالته لأهل زييد كلها في الرد عليهم في هذه المسألة-: لم يسبق أحد من العالمين أبا محمد ابن كلاب وأبا الحسن الأشعري إلى هذا القول، وذكر مثل كلامه ابن تيمية في: (التسعينية)<sup>(٢٦٧)</sup>.

فالعقل والكتاب والسنة واللغة كلها على خلاف ذلك، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] فسمى ما يُتلفظ به كلامًا، وستأتي الأدلة في الرد على الجهمية والمعتزلة وضمناً الأشاعرة.

قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ هذا فيه إثبات كلام الله من جهتين:

الجهة الأولى: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ والإذن لا يكون إلا بكلام.

الجهة الثانية: قوله: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيه إثبات القول.

قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ والإذن لا يكون إلا بكلام وقول.

(٢٦٥) التسعينية (٢ / ٦١٨)، ومجموع الفتاوى (٦ / ١٧٩).

(٢٦٦) رسالة السجزي إلى أهل زييد (ص ١١٥).

(٢٦٧) التسعينية (٢ / ٤٦٧)، (٢ / ٦٢٥)، (٣ / ٨٧٥).

قوله: **«إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ وَنَادَوْا: {مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ}»**، تكلم بالوحي، فأثبت الكلام لله، والأصل فيما يُضاف إلى الله من الأمور المعنوية التي لا تقوم بنفسها ولا بغيرها من المخلوقات أن تكون صفة لله، والكلام كذلك لا يقوم بنفسه بل يقوم بمن اتصف به، فهو كلام الله.

قوله: **«حُشِرَ اللَّهُ الْعِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ»** فيه إثبات الكلام؛ لأنه يُسمع، وفي هذا رد على الأشاعرة أيضًا؛ لأن كلام الله مسموع، وإذا كان مسموعًا فهو ليس مما زُور في النفس فحسب، بل النفسي واللفظي.

ومذهب أهل السنة أن كلام الله نفسي ولفظي، ولا يُحمل على أحدهما إلا لقرينة، أخرج البخاري عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: **«قال الله تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»** <sup>(٢٦٨)</sup>، هذا هو الكلام النفسي لقرينة دلت عليه، **«ومن ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خير منه»** هذا كلام لفظي، والأصل في الكلام اللفظي أنه نفسي.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله تجاوز عن أمي ما حدثت به أنفسها» (٢٦٩) هذا الكلام النفسي «ما لم تعمل به أو تتكلم» هذا اللفظي والنفسي، وهذا ملخص ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧٠) رَحْمَةُ اللَّهِ.

قوله: (إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ) قوله: «لقوله» في هذا إثبات أن الله تكلم.

قوله: «كأنه سلسلة على صفوان» شبه الصوت بالصوت لا المسموع بالمسموع، فيه تحقيق صفة الصوت لله، وفي هذا رد على الأشاعرة في أن لكلام الله صوتاً فيكون كلاماً ملفوظاً.

قوله: (مَا أذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَّا أذِنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَتَغَنَّيَ بِالْقُرْآنِ) ما أذن أي ما سمع، فدل على أن كلام الله مسموع، وفي هذا إثبات أن الله كلاماً، وفيه أيضاً رد على الأشاعرة والكلابية.

قوله: (يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ) فيه إثبات القول والكلام لله، وفيه إثبات الصوت، وهذا تأكيد لكلام الله ورد على الكلابية والأشعرية.

(٢٦٩) «صحيح البخاري» (٧ / ٤٦): «٥٢٦٩».

(٢٧٠) التسعينية (٢ / ٤٣٦).

وقد ذكر أهل اللغة <sup>(٢٧١)</sup> أن كل نداءٍ متضمن لصوت، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ  
 أَنَّهُكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] فكل نداء متضمن لصوت، وإلا كيف يُسمع  
 النداء؟ بل حكى ابن تيمية <sup>(٢٧٢)</sup> إجماع أهل اللغة.

قوله: ﴿مَا غَرَّتْ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرَّتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ  
 فِي الْجَنَّةِ﴾ والأصل في الأمر أن يُحمل على الكلام.  
 فكل هذه الأدلة في إثبات الكلام لله سبحانه.

(٢٧١) «جمهرة اللغة» (٢ / ١٠٦١)، و«المحيط في اللغة» (٩ / ٣٦٤)، و«الصحاح تاج اللغة وصحاح  
 العربية» (٦ / ٢٥٠٥)، و«المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث» (٣ / ٢٨١)، و«مختار  
 الصحاح» (ص ٣٠٧).

(٢٧٢) مجموع الرسائل والمسائل (٣ / ١٥٥).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ، وَنداءِ اللَّهِ المَلَائِكَةَ (٢٧٣).

وَقَالَ مَعْمَرٌ: {وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ} [النمل: ٦] أَي يُلْقَى عَلَيْكَ وَتَلْقَاهُ أَنْتَ، أَي تَأْخُذُهُ عَنْهُمْ، وَمِثْلُهُ: {فَتَلْقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} [البقرة: ٣٧].

٧٤٨٥ - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبَبَهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ ينادي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبَبُوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ".

٧٤٨٦ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكَتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكَنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَآتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ".

٧٤٨٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنِ الْمَعْرُورِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى، قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى".

قوله: **(بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ، وَندَاءِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ)** نوع البخاري في طريقة إثبات كلام الله بأن ذكر كلام الله لجبريل، ونداء الله للملائكة، وتقدم أن النداء لا يكون إلا بصوت، ففيه إثبات الكلام وزيادة على ذلك الرد على الكلائية والأشعرية في عدم إثباتهم الكلام اللفظي.

قوله: **(وَقَالَ مَعْمَرٌ: {وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ} [النمل: ٦] أَي يُلْقَى عَلَيْكَ وَتَلْقَاهُ أَنْتَ، أَي تَأْخُذُهُ عَنْهُمْ، وَمِثْلُهُ: {فَتَلْقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} [البقرة: ٣٧])** والأصل في التلقي أنه لَقْنَهُ وتلقى عنه مباشرة أي كلمه.

قوله: **(إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ) فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ** لا يعلم هذا إلا بأن يُخبره الله سبحانه.

قوله: **(فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكَتُمْ عِبَادِي؟)** وهذا لا يكون إلا بكلام، ولا يسمعون ذلك إلا ويكون له صوت.

قوله: **(أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ)** وجه الدلالة أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يمكن أن يعرف هذا إلا أن يكون أخذه من الله، ولا يأخذه من الله إلا بالكلام.

فإن قيل - كما تقول الأشعرية والكلابي: إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قرأه من اللوح المحفوظ مباشرة، ولم يكلمه الله بذلك.

فيقال الجواب عن هذا من أوجه:

الوجه الأول: ذكره شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** في مواضع كما في المجلد الثاني عشر من (مجموع الفتاوى) <sup>(٢٧٤)</sup> وهو أنه يلزم على هذا أن يكون سند النبي **ﷺ** في أخذ كلام الله أنزل من سند أصحاب موسى، فأصحاب موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أخذوا من اللوح مباشرة، أما النبي **ﷺ** يكون أخذه عن جبريل، وجبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أخذه من اللوح ثم النبي **ﷺ** يأخذه منه، والنبي **ﷺ** له المقام الأعلى.

الوجه الثاني: أن هذا خلاف ظاهر الأدلة، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١] فقال: من الله لا من اللوح المحفوظ كما يقولون: إنه أخذه من اللوح المحفوظ ثم أتى به للنبي **ﷺ**.

الوجه الثالث: أن في الأدلة أنه قال وتكلم... إلخ، فالأصل أن تحمل على ظاهرها وهو أنه تكلم سبحانه، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةَ يَشْهَدُونَ} [النساء: ١٦٦] (٢٧٥).

قَالَ مُجَاهِدٌ: {يَنْزَلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ} [الطلاق: ١٢] «بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْأَرْضِ السَّابِعَةِ».

٧٤٨٨ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَا فَلَانُ إِذَا أُوْتِيَ إِلَيَّ فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ فِي لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ أَجْرًا".

٧٤٨٩ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعِ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، وَزَلِّزْ بِهِمْ» زَادَ [ص: ١٤٣] الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي خَالِدٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ.

٧٤٩٠ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ هُشَيْمٍ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ} [الإسراء: ١١٠] بِهَا، قَالَ: «أَنْزَلْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ، فَسَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «{وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا} [الإسراء: ١١٠]: «{لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ حَتَّى يَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ}، {وَلَا تُخَافِتُ بِهَا} [الإسراء: ١١٠]

«عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ»، {وَابْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: ١١٠] «أَسْمِعُهُمْ وَلَا تَجْهَرُ، حَتَّى يَأْخُذُوا عَنكَ الْقُرْآنَ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ} [النساء: ١٦٦]) فيه تقرير أن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه منزل.

فإن قيل: إنه لا يلزم من التنزيل ألا يكون مخلوقاً، فإن الحديد مُنزل وهو مخلوق؟ والمطر مُنزل وهو مخلوق؟

فيقال: قال ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى) <sup>(٢٧٦)</sup>، وابن القيم كما في (مختصر الصواعق) <sup>(٢٧٧)</sup> أن المنزلات أقسام ثلاثة:

القسم الأول: مُنزل ذكرت جهته وهي مخلوقة كالسما، وهذا مخلوق، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

القسم الثاني: مُنزل لم تذكر جهته، وهذا مخلوق، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥].

القسم الثالث: ذُكرت جهته وهو الله، وهذا انفرد به القرآن وهذا غير مخلوق، ﴿حَمْدٌ \* تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١-٢].

(٢٧٦) «مجموع الفتاوى» (١٢ / ١١٨).

(٢٧٧) «مختصر الصواعق المرسلّة» (ص ٤٤٢).

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} [الفتح: ١٥] (٢٧٨).

{إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ} [الطارق: ١٣] «حَقٌّ» {وَمَا هُوَ بِالْهَزْلُ} [الطارق: ١٤] «بِاللَّعِبِ».

٧٤٩١ - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤَذِّنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ".

٧٤٩٢ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلِخُلُوفٍ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ".

٧٤٩٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْتِثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَى رَبَّهُ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَعْنَيْتَكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ ".

٧٤٩٤ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ "

الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " .

٧٤٩٥ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، أَنَّ الْأَعْرَجَ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

٧٤٩٦ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ اللَّهُ: «أَنْفَقُ أَنْفَقُ عَلَيْكَ» .

٧٤٩٧ - حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: «هَذِهِ خَدِيحَةُ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ طَعَامٌ - أَوْ إِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ - فَأَقْرَبَتْهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلَامَ، وَبَشَّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَحَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ» .

٧٤٩٨ - حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ " .

٧٤٩٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ الْأَحْوَلُ، أَنَّ طَاوُوسًا، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقُّ، وَالنَّارُ حَقُّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقُّ، وَالسَّاعَةُ حَقُّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ

خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

٧٥٠٠ - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ النَّمِيرِيُّ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا، وَكُلُّ حَدِيثِي طَائِفَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي حَدَّثَنِي، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِي بَرَاءَتِي وَحِيًّا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ {العشر الآيات.

٧٥٠١ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمَلَهَا فَانْكُتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَانْكُتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا [ص: ١٤٥] فَانْكُتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمَلَهَا فَانْكُتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ ".

٧٥٠٢ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي مُرَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ،

قَالَ: فَذَلِكَ لِكَ "، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ} [محمد: ٢٢].

٧٥٠٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: مُطِرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: " قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِي " .

٧٥٠٤ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ " .

٧٥٠٥ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي " .

٧٥٠٦ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: فَإِذَا مَاتَ فَحَرَّقُوهُ وَادْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِيَعَذَّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذَّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ لَهُ " .

٧٥٠٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَغَفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ

به؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ  
- أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ  
لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرَبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ  
أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ  
وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ " .

٧٥٠٨ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ،  
عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيْمَنْ سَلَفَ -  
أَوْ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالَ: كَلِمَةً: يَعْنِي - أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا، فَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ،  
قَالَ لِبَنِيهِ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَرِزْ - أَوْ لَمْ يَبْتَرِزْ - عِنْدَ اللَّهِ  
خَيْرًا، وَإِنْ يَقْدِرِ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبُهُ، فَاَنْظُرُوا إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا  
فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْحَكُونِي -، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَقَالَ:  
نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: فَأَخَذَ مَوَائِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَذْرُوهُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَقَالَ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُنْ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ، قَالَ اللَّهُ: أَيُّ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا  
فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ -، قَالَ: فَمَا تَلَاْفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا " وَقَالَ مَرَّةً  
أُخْرَى: «فَمَا تَلَاْفَاهُ غَيْرُهَا»، فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عُثْمَانَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنْ سَلْمَانَ غَيْرِ  
أَنَّهُ زَادَ فِيهِ: «أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ»، أَوْ كَمَا حَدَّثَ .

حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، وَقَالَ: «لَمْ يَبْتَرِزْ» وَقَالَ خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، وَقَالَ:  
«لَمْ يَبْتَرِزْ» فَسَرَّهُ قَتَادَةُ: لَمْ يَدْخِرْ .

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} [الفتح: ١٥]) هذا أيضًا فيه إثبات أن القرآن كلام الله وأنه غير مخلوق، لكنه نوع ذكر الأدلة رَحْمَةً لِلَّهِ.

قوله: ( {إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ} [الطارق: ١٣] «حَقٌّ» {وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} [الطارق: ١٤] «بِاللَّعِبِ» ) إن هناك فرقًا بين الكلام والقول، فإن الكلام لا يُنسب إلا لمن تكلم به أولاً، تقول: «إنما الأعمال بالنيات» (٢٧٩) كلام النبي ﷺ، «لا هجرة بعد الفتح» (٢٨٠) كلام النبي ﷺ، فيُنسب إلى من قاله أولاً.

أما القول فقد يُنسب إلى من قاله أولاً وقد يُنسب إلى من نقله، لذا نسب القرآن إلى جبريل وإلى النبي ﷺ، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] المراد به جبريل، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ \* وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٢] والمراد به النبي ﷺ.

فالقول قد يُنسب لأول من نطق به أو لمن ذكره، أما الكلام فلا يُنسب إلا لمن تكلم به، لذلك إذا قيل: إن القرآن قد نُسب إلى جبريل فيقال: نُسب إلى جبريل على أنه القائل، ونُسب إلى النبي ﷺ على أنه القائل، وفرق بين أن يكون قاله وأن يتكلم به أولاً.

(٢٧٩) «صحيح البخاري» (١ / ٦): «١»، و«صحيح مسلم» (٦ / ٤٨) رقم (١٩٠٧).

(٢٨٠) «صحيح مسلم» (٤ / ١٠٩): «٤٤٥ - (١٣٥٣)».

وهذا مخلص ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** كما في (مجموع الفتاوى) (٢٨١)،  
وأشار إليه في العقيدة الواسطية (٢٨٢).

قوله: **(قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ)** هذا حديث قدسي، والشاهد  
قوله: **(قال الله تعالى)**، والأصل في الحديث القدسي أنه قول الله لفظاً ومعنى، ففرق  
بينه وبقية الأحاديث، فبقية الأحاديث وحي والنبى **ﷺ** أتى بها معنى، أما الحديث  
القدسي أتى به لفظاً ومعنى؛ لأن الأصل في القول أن يُنسب إلى صاحبه لفظاً ومعنى.

فإن قيل: ما الفرق بينه وبين القرآن؟

يقال: القرآن مُتَعَبَدٌ بتلاوته، وغير ذلك من الأحكام الشرعية بخلاف الحديث  
القدسي.

فالحديث القدسي أقل منزلة من القرآن؛ لأن صفات الله - ومنه كلامه - تتفاضل،  
وقد أجمع أهل السنة على أن صفات الله تتفاضل، لذا قال في آية الكرسي لما سُئِلَ في  
ففي صحيح مسلم (٢٨٣) عن أبي بن كعب أن النبي **ﷺ** قال: ما أعظم آية في كتاب الله؟  
قال: **(آية الكرسي)**، ولما سُئِلَ عن أعظم سورة في القرآن ذكر الفاتحة كما في حديث  
أبي سعيد بن معلى أخرجه البخاري.

(٢٨١) «مجموع الفتاوى» (٣ / ٤٠١).

(٢٨٢) «مجموع الفتاوى» (٣ / ١٤٤)، و«العقيدة الواسطية» (ص ٩٠).

(٢٨٣) «صحيح مسلم» (٢ / ١٩٩): ٢٥٨ - (٨١٠).

فكلام الله يتفاضل بإجماع أهل السنة <sup>(٢٨٤)</sup> خلافاً لأبي الحسن الأشعري والمتكلمين، وابن حبان <sup>(٢٨٥)</sup>، وزل في هذا ابن جرير مع أنه إمام من أئمة السنة، وذهب إلى أن كلام الله لا يتفاضل <sup>(٢٨٦)</sup>، وهذا من قلائل أخطائه **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وهو من أئمة السنة الكبار.

وشبهة من قال إنه لا يتفاضل أنه يلزم من ذلك انتقاص المفضول، وهذا لا يلزم، فالأنبياء يتفاضلون ولا يلزم من ذلك انتقاص المفضولين منهم بالنسبة إليهم، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وتقدم في الأحاديث: «سبقت رحمتي غضبي» فصفات الله تتفاضل، وكذا أسماؤه كما في مسلم <sup>(٢٨٧)</sup> من حديث عبد الله بن عمر: «إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن».

قوله: (ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ) والذي دفعه إلى هذا الجهل بشمول قدرة الله سبحانه وتعالى، كما بين هذا ابن قتيبة في (تأويل مختلف الحديث) <sup>(٢٨٨)</sup>،

(٢٨٤) «مجموع الفتاوى» (١٧ / ١٣).

(٢٨٥) «صحيح ابن حبان: التقاسيم والأنواع» (١ / ٣٣٢).

(٢٨٦) «تفسير الطبري» (٢ / ٤٠٣).

(٢٨٧) «صحيح مسلم» (٦ / ١٦٩): «٢ - (٢١٣٢)».

(٢٨٨) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٨٦).

وابن عبد البر في (التمهيد) (٢٨٩)، وابن حزم في (الفصل) (٢٩٠)، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى) (٢٩١) وابن القيم في (مدارج السالكين) (٢٩٢).

وقوله: **(لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ)** في اللغة يصح نفي الشيء إذا لم يكمل، فكل ما لم يكمل صحَّ نفيه، فلو بنى رجل بيتاً ولم يكمله يصح أن يقال: لم يبن بيتاً، ذكر هذا أبو عبيد القاسم بن سلام في (الإيمان) (٢٩٣) وابن خزيمة في (التوحيد) (٢٩٤).

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

**بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ (٢٩٥).**

٧٥٠٩ - حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ رَاشِدٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ سُفِّعَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ فَيَدْخُلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى شَيْءٍ "، فَقَالَ أَنَسٌ كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(٢٨٩) «التمهيد - ابن عبد البر» (١٨ / ٤٢).

(٢٩٠) «الفصل في الممل والأهواء والنحل» (٣ / ١٤٠).

(٢٩١) «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٤٩٠)، (٢٣ / ٣٤٧).

(٢٩٢) «مدارج السالكين» (١ / ٥٢٢).

(٢٩٣) «الإيمان لأبي عبيد» (ص ٨٠).

(٢٩٤) «التوحيد لابن خزيمة» (٢ / ٧٢٩).

(٢٩٥) «صحيح البخاري» (٩ / ١٤٦).

٧٥١٠ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبُدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَزْرِيُّ، قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتِ الْبُنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا، فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لَا تَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ أَوْلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْرَةَ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: " إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَاجِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُبْلَهُمْنِي مَحَامِدُ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَانْطَلِقْ فَأَفْعَلْ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَانْطَلِقْ، فَأَفْعَلْ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ

كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ  
فَأَفْعَلُ " فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنْسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ  
فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَا بِمَا حَدَّثَنَا أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا  
فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، فَلَمْ نَرِ مِثْلَ مَا حَدَّثْنَا فِي  
الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيَ فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ، فَانْتَهَى إِلَيَّ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيَ، فَقُلْنَا لَمْ  
يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَدْرِي أَنْسِي أَمْ كَرِهَ  
أَنْ تَتَكَلَّمُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدَّثْنَا فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا  
وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ: " ثُمَّ أَعُوذُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ  
الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَاهُ،  
وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي،  
وَكَبْرِيَايَ وَعِظْمَتِي لِأَخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " .

٧٥١١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ  
[ص: ١٤٨] عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
" إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا،  
فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ الْجَنَّةِ مَلَأَى، فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَكُلُّ  
ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ مَلَأَى، فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ " .

٧٥١٢ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ،  
عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ  
تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا

قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ "، قَالَ الْأَعْمَشُ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ خَيْثَمَةَ، مِثْلَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

٧٥١٣ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالشَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ، «فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١] إِلَى قَوْلِهِ {يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧].

٧٥١٤ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: " يَدُنُو أَحَدِكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، يَقُولُ: أَعْمَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ " وَقَالَ آدَمُ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ) فِيهِ إِثْبَاتُ كَلَامِ اللَّهِ، وَقَدْ نَوَّعَ فِي ذِكْرِ الْأَدْلَةِ.

وسبب إطالة البخاري في هذا أنها فتنة حصلت لأهل السنة، فابتلوا أيام المأمون والمعتمض بهذه الفتنة، وطريقة أهل السنة أنهم إذا ابتلوا بأمر أكثروا الكلام فيه، كلما شاع باطل أشاعوا إظهار الحق.

يقول ابن تيمية في أوائل (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) <sup>(٢٩٦)</sup>: إذا أراد الله إظهار الحق أظهر الباطل حتى يُظهر الحق عليه، لذلك لما استحكمت الجاهلية أرسل الله محمداً ﷺ، وهذه حكمة الله، كلما رأيت الباطل بدأ يشيع واشتد فالله يريد أن يُظهر الحق على الباطل.

فينبغي لأهل السنة أن يُشمروا عن ساعد الجد ليهتبلوا الفرص ورحمات الله في نصر الحق ورد الباطل في أمثال هذه المواضع.

فكان أهل السنة يقولون: القرآن كلام الله، ولما وُجد من قال: مخلوق، قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق، وكذا في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] لما ظهر من يرجع الاستواء إلى فعل في العرش كأبي الحسن الأشعري <sup>(٢٩٧)</sup> وبعض أتباعه كالبيهقي <sup>(٢٩٨)</sup>، قالوا: استوى بذاته، وهذه طريقة أهل السنة، يُفصلون إذا احتاجوا إلى التفصيل عند ظهور المخالف.

(٢٩٦) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية» (١ / ٨٥).

(٢٩٧) الأسماء والصفات للبيهقي (٢ / ٣٠٧)، ومجموع الفتاوى (٥ / ٤٦٦).

(٢٩٨) «معرفة السنن والآثار» (٤ / ٤٢٧)، ونقله في كتابه الأسماء والصفات (٢ / ٣٠٧) وأقره وطريقته

في الكتاب أنه يقرر العقائد بالنقل والإقرار.

وفتنة العصر فتنة الحركيين فلا بد أن يكون أهل السنة واضحين في الرد عليهم، وأن يُكثروا الكلام في بيان خطرهم، ومثلهم الليبراليون والعلمانيون، فينبغي أن يُكثروا الكلام في الرد على شبهاتهم، وإن كان - والله الحمد - هؤلاء الليبراليون والعلمانيون منبوذين عند عامة المسلمين، لكن لهم شبهات لا بد أن تُفند، وفي المقابل لا ينبغي أن يُنشغل بهم ويُترك الحركيون، فإن شبهة الحركيين أشد؛ لأنها قد لبست بلباس الدين، فيحتاج إلى كشفها أكثر من غيرها.

فإذا تبنى أحد من الحركيين والإخوانيين منهج الليبراليين - وأغلبهم على ذلك - حاول أن يشرعه ويُلبسه بلباس الدين، فهذا اجتمعت فتنتان، فتنة هذه الدعوة الباطلة الكفرية وفتنة إلباسها بلباس الدين، فيحتاج أهل السنة أن يُجلوها أكثر من غيرها. أسأل الله أن يحيينا على السنة وأن يميتنا على ذلك.

قوله: **(يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ...)** يأتون آدم ويأتون الأنبياء واحداً تلو الآخر، وفيه أنهم يأتون النبي ﷺ فيطلبون منه الشفاعة، ثم يُقال له فيما بعد: قل يُسمع وسل تعط واشفع تشفع. وفيه تكليم الله لنبيه ﷺ.

قوله: **(«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ»)** ويدخل في هذا ما بَوَّب البخاري؛ لأنه قال مع الأنبياء وغيرهم، فليس الأمر خاصاً بالأنبياء بل حتى غيرهم.



تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّىٰ احْتَمَلُوهُ، فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بَشْرِ زَمْزَمَ، فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَىٰ لَبْتِهِ حَتَّىٰ فَرَّغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَعَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَنْقَىٰ جَوْفَهُ، ثُمَّ أَتَىٰ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ، مَحْشُورًا إِيْمَانًا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلِغَادِيدَهُ - يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ - ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضْرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ جِبْرِيلُ: قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمَ، وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي، نَعَمْ الْإِبْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهْرَيْنِ يَطْرِدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهْرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا، ثُمَّ مَضَىٰ بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجِدٍ، فَضْرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثُرُ الَّذِي حَبَأَ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الْأُولَىٰ مِنْ هَذَا، قَالَ جِبْرِيلُ: قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ الْأُولَىٰ وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَىٰ الرَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءٌ قَدْ سَمَّاهُمْ، فَأَوْعِيَتْ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظْ اسْمَهُ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَىٰ فِي

السَّابِعَةَ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ، فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، وَدَنَا الْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللَّهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ: خَمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَاذَا عَاهَدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: عَاهَدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ، فَالْتَمَتِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ: أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَعَلَا بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ، فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا فَتَرَكَوهُ، فَأَمَّتْكَ أضعفُ أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ، كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَمِئُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ أُمَّتِي ضِعْفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا، فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بَعَشْرٍ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ، وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ، فَارْجِعْ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: خَفِّفْ عَنَّا، أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، قَالَ مُوسَى: قَدْ [ص: ١٥١] وَاللَّهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكَوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أَيضًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا مُوسَى، قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ قَالَ: وَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ ."

قوله: **(بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤])** لا زال رَحْمَةُ اللَّهِ مستمرًا في ذكر الأدلة في إثبات كلام الله والتنويع في ذلك، وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] من أقوى الأدلة؛ لأن (كلم) فعل ماضٍ و(تكلِيمًا) مفعول مطلق، فهو مصدر مؤكد، والفعل إذا أكد بالمصدر فإنه يُحمل على الحقيقة لا على المجاز بإجماع النحاة، حكى هذا النحاس<sup>(٣٠٠)</sup>، ونقله الحافظ ابن حجر<sup>(٣٠١)</sup> في شرحه على البخاري وأقره.

ثم من القواعد المهمة أن الشريعة إذا كررت ذكر أمر فلا يُحمل على المجاز، بل يُحمل على الحقيقة؛ لأن كثرة ذكره تأكيد له، وقد ذكر هذا ابن القيم في (الصواعق المرسله)<sup>(٣٠٢)</sup> والسيوطي في فتاواه<sup>(٣٠٣)</sup>، والسبكي في فتاواه<sup>(٣٠٤)</sup>.

فصفة الكلام قد أكثرت الشريعة من ذكره كما تقدم بعضها، فقطعًا هي على الحقيقة لا على المجاز.

(٣٠٠) «إعراب القرآن للنحاس» (١/ ٢٥١).

(٣٠١) «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٤٧٩) وانظر: «الصواعق المرسله» (١/ ١٧٨).

(٣٠٢) «الصواعق المرسله» (١/ ١٧٦).

(٣٠٣) «الحاوي للفتاوي» (٢/ ١٥٥).

(٣٠٤) فتاوى السبكي (٣/ ٥٩٧).

قوله: (قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَكَلَامِهِ) الشاهد قوله: (وَكَلَامِهِ).

قوله: (وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ) في بعض ألفاظ الحديث قال: «أنت موسى كلمك الله»، ففيه إثبات أنه كُلم، وتقدم أن طريقة البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ بحديث ويُشير إلى الشاهد في أحاديث أخرى.

لكن قوله: (وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ) هذا يفيد أن اللغة توقيفية، وهو الذي عليه أهل السنة، وخالف أبو هاشم الجبائي المعتزلي وقال: إن اللغة اصطلاحية<sup>(٣٠٥)</sup>، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: علمه أسماء كل شيء، حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية<sup>(٣٠٦)</sup>. فعلمه جميع اللغات، فهي إلهام من الله لا أنها اصطلاحية كما يقول أبو هاشم الجبائي.

وهذا ما عليه أهل السنة وهو الذي تدل عليه النصوص وكلام الصحابة والتابعين، وهذا مفيد للغاية في بحث المجاز، وليس هذا موضع ذكره.

قوله: (وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ ...) وفي هذا الحديث قوله: (فَشَقَّ جَبْرِيْلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ) النحر: موضع العقد، واللبة: موضع العانة، ذكر هذا الداودي<sup>(٣٠٧)</sup>.

(٣٠٥) مجموع الفتاوى (٧/٩٠)، وبيان تلبس الجهمية (٨/٤٢٠).

(٣٠٦) تفسير الطبري (١/٥١٥، ٥١٦).

(٣٠٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٣/٤٧٤).

وفيه قوله: **(هَذَا النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا)** والمراد أصلهما في الجنة على ظاهر الحديث، ذكره النووي<sup>(٣٠٨)</sup> ونقله ابن حجر وأقره<sup>(٣٠٩)</sup>، ولا يحتاج إلى تأويل وإنما يُحمل على ظاهره.

وفي الحديث قوله: **(وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ، فَتَدَلَّى)** وهذه اللفظة خطأ ووهم من أوهام شريك بن عبد الله النخعي القاضي كما بينه الحافظ<sup>(٣١٠)</sup>، ولا يُحتمل منه هذا التفرد؛ لضعفه في الحفظ، وإنما تساهل البخاري في إيراد هذا الحديث؛ لأن المعنى الإجمالي ثابت في أحاديث أخر ويُقوي بعضها بعضاً.

(٣٠٨) شرح النووي على مسلم (٢/٢٢٤).

(٣٠٩) فتح الباري لابن حجر (٧/٢١٤).

(٣١٠) فتح الباري لابن حجر (١٣/٤٨٥).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣١١) كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ

٧٥١٨ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ

زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي

يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ

أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ وَأَيُّ شَيْءٍ

أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا".

٧٥١٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانَ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: "أَنَّ رَجُلًا

مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوْلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي

أَحِبُّ أَنْ أَرْزَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَدَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ

الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ"، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَجِدْ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا

بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ.

قوله: **(بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ)** هذا فيه إثبات صفة الكلام لله، لكن البخاري نوع في ذكر الأدلة.

قوله: **(فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ)** الشاهد قوله: **(دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ)**؛ لأن الله يكلمه، لكن في الحديث قال الأعرابي: يا رسول الله، لا تجد هذا الرجل الذي حرص على الغرس والبذر إلا قرشيًّا أو أنصاريًّا، أي نحن أهل البادية لا نهتم بمثل هذا.

وهذا فيه إشكال وهو أن القرشيين كانوا يعيرون الزراعة، وكانت رزقهم من البيع والشراء، أما الأنصار فكانوا أهل حرث.

فيقال: إنه أراد بعضهم لا كلهم، هذا من الأجوبة التي قيلت في هذا الحديث.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣١٢) ذِكْرِ اللَّهِ بِالْأَمْرِ، وَذِكْرِ الْعِبَادِ بِالدُّعَاءِ، وَالتَّضَرُّعِ وَالرَّسَالَةِ وَالْإِبْلَاحِ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢] {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ، فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ، وَلَا تُنظِرُونِ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: ٧٢] " غُمَّةٌ: هُمْ وَضِيقٌ " قَالَ مُجَاهِدٌ: «اقضُوا إِلَيَّ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ»، يُقَالُ: افْرُقْ اقضِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦] " إِنْسَانٌ يَأْتِيهِ، فَيَسْتَمِعُ مَا يَقُولُ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَيَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ، وَحَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ [ص: ١٥٢] حَيْثُ جَاءَهُ، النَّبِيُّ الْعَظِيمُ: «الْقُرْآنُ»، {صَوَابًا} [النبا: ٣٨]: «حَقًّا فِي الدُّنْيَا، وَعَمَلٌ بِهِ».

قوله: (بَابُ ذِكْرِ اللَّهِ بِالْأَمْرِ، وَذِكْرِ الْعِبَادِ بِالدُّعَاءِ، وَالتَّضَرُّعِ وَالرَّسَالَةِ وَالْإِبْلَاحِ) بدأ البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ في الكلام عن فتنة حصلت في عصره، ففي وقت الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، والمعارضون لأهل السنة كالإمام أحمد طوائف، منهم من صرح بأن كلام الله مخلوق، كالجهمية ومنهم المعتزلة، ومن صرح به في ذلك الوقت المأمون والمعتصم.

والطائفة الأخرى توقفت وقالوا: لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، فبدعهم الإمام أحمد؛ لأنهم توقفوا في أمر قد تواترت الأدلة على بيانه، ولا يتوقف في مثل هذا إلا من لم يسلم بها، وفي نفسه ريب.

والطائفة الثالثة فرّت من هذا بخديعة، فقالوا: لفظي بالقرآن مخلوق، كحسين الكرابيسي، وهو من طلاب الشافعي وهو قرين لأحمد، وكان عالمًا، لكن وقع في هذه البدعة، فبدعه الإمام أحمد، وقال قوام السنة في كتابه: (الحجة في بيان المحجة) (٣١٣): بدعه الإمام أحمد فتوارد أئمة السنة على تبديعه.

وذلك أن في كلام الكرابيسي فتح باب شر، فمن لم يُرد القول بأن كلام الله مخلوق يقول: لفظي بالقرآن مخلوق.

لأن (لفظي) مصدر، والمصدر يدل كما تقدم على الحدث فقط، فإن أُريد به فعل العبد الذي هو الأصوات وحركة الشفتين فهذا قطعًا مخلوق، وقد يُراد به المفعول وهو القرآن نفسه الذي تُلفظ به، وهذا غير مخلوق، فهو تحدث بهذه اللفظة المجملة؛ ليفر من القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، فشدد عليه الإمام أحمد وبدعه.

وأئمة السنة في وقت أحمد كانوا يبدعون من يقول لفظي بالقرآن مخلوق؛ لأنه يريد المراوغة والهروب من القول الصريح بأن القرآن مخلوق.

فالمقصود أن الإمام أحمد بدع الكرابيسي؛ لإتيانه بهذه اللفظة المجملة التي يُراد من ورائها ما يُراد.

وقال البخاري: إن أريد به حركة اللسان والشفيتين والمداد والورق فإنه مخلوق، وإن أُريد به المتلفظ به أو المكتوب نفسه فهو غير مخلوق<sup>(٣١٤)</sup>، فقام عليه بعض أئمة وعلماء عصره كالإمام محمد بن يحيى الذهلي والرازيين وغيرهم<sup>(٣١٥)</sup>.

والبخاري رَحِمَهُ اللهُ ينفى عن نفسه هذا الأمر<sup>(٣١٦)</sup>، وفي تاريخ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري<sup>(٣١٧)</sup> نقل عن البخاري أن الذي دعا الذهلي أن يتكلم فيه هو الحسد وإلا هو لا يقول بهذا، فهو يُفصل ويقول إن كلام الله غير مخلوق، وتقدمت الأبواب الكثيرة في ذلك، وله كتاب بعنوان: (خلق أفعال العباد)، قرر فيه هذا بقوة.

لكن في زمان البخاري من ظن أن أحمد لما شدد على الكرابيسي وأمثاله، فهو يقرر أن المداد غير مخلوق، حتى حركة اللسان والشفيتين غير مخلوقة، فاحتاج إلى أن يفصل؛ ليصح خطأ هؤلاء.

(٣١٤) «خلق أفعال العباد للبخاري» (ص ٤٧).

(٣١٥) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٥١٠).

(٣١٦) «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٥٧٢)، «فتح الباري» لابن حجر (١٣ / ٥٠٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١١ / ٥١٠).

(٣١٧) هدي الساري (ص ٤٩٠، ٤٩١).

وذكر الإمام ابن القيم م كما في (مختصر الصواعق) <sup>(٣١٨)</sup>: أنه لا خلاف بين الإمام أحمد والإمام البخاري وإنما البخاري فصل أكثر للحاجة في زمانه؛ لأن من أهل السنة في زمانه من فهم خطأ فظن أن المداد والورق وحركة اللسان والشفيتين غير مخلوقة، فاحتاج إلى التفصيل.

وهذا كلام بديع من الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**، فسيذكر الإمام البخاري في هذا الباب وفي أبواب ستأتي أن هناك فرقاً بين فعل العبد وأنه مخلوق، وبين ما يُتلفظ به ويُتكلم به وهو القرآن فهذا غير مخلوق.

قوله: **(بَابُ ذِكْرِ اللَّهِ بِالْأَمْرِ)** والمراد أن ذكر الله أمره عباده بطاعته وأنه يستجيب لهم، وقوله: **(وَذِكْرِ الْعِبَادِ بِالْدُعَاءِ)** ما يكون من العباد من الدعاء والتضرع والتعبد، وقوله: **(وَالرَّسَالَةِ وَالْإِبْلَاحِ)** وهذا الذكر من الأنبياء.

قوله: **(لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ})** كأن البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** يقول: هناك ذكر لله وذكر للعبد وأن بينهما فرقاً، وذكر العبد مخلوق، وذكر الله غير مخلوق.

قوله: **({وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ})** قال: **(وَتَذْكِيرِي)** فأيات الله غير مخلوقة، أما تذكير نوح فمخلوق.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣١٩) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} [البقرة: ٢٢]

وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [فصلت: ٩] وَقَوْلِهِ: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الفرقان: ٦٨] {وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: ٦٦] وَقَالَ عِكْرِمَةُ: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: ١٠٦] {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ} [الزخرف: ٨٧] و{مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} {فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ} وَمَا ذَكَرَ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَأَكْسَابِهِمْ " لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢] وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (مَا تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ): «بِالرِّسَالَةِ وَالْعَذَابِ» {لَيْسَأَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ} [الأحزاب: ٨]: «الْمُبَلِّغِينَ الْمُؤَدِّينَ مِنَ الرُّسُلِ»، {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [يوسف: ١٢]: «عِنْدَنَا»، {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ} [الزمر: ٣٣]: «الْقُرْآنُ» {وَصَدَّقَ بِهِ} [الزمر: ٣٣]: " الْمُؤْمِنُ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَذَا الَّذِي أُعْطَيْتَنِي عَمِلْتُ بِمَا فِيهِ " .

٧٥٢٠ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَرْحِبِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً، وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنْ ذَلِكَ لِعَظِيمٍ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ».

باب (٣٢٠) قول الله تعالى {وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون}

٧٥٢١ - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَقَفِيَّانِ وَفُرَشِيٌّ - أَوْ فُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ - كَثِيرَةٌ شَحْمٌ بَطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فَفَهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت: ٢٢] " الْآيَةُ.

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا} [البقرة: ٢٢]) هذا الباب يُفهم بالرجوع إلى كتاب (خلق أفعال العباد) للبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد أشار إلى هذه المعاني؛ لأن هذا الباب مشكل إذا نظر إليه وحده، لكن إذا ضم كلامه هذا مع كلامه في: (خلق أفعال العباد) وعلمت ما حصل من فتنة فهمت هذا الباب، وقد أشار لهذا المعنى ابن حجر في شرحه على البخاري (٣٢١).

(٣٢٠) «صحيح البخاري» (٩/ ١٥٢).

(٣٢١) «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٤٩٢).

فقوله: **(بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} [البقرة: ٢٢٢])** وجه الدلالة أنه إذا قيل بأن حركة الشفتين واللسان والمداد والورق غير مخلوقة فقد جعلت لله نداً؛ لأن ما عدا الله مخلوق، فإذا قيل: إن هناك غير الله غير مخلوق فهذا يكون نداً لله.

قوله: **(وَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) {فَذَلِكِ إِيْمَانُهُمْ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ} (أَي يُقْرُونَ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَيُشْرِكُونَ فِي الْأَلُوْهِيَّةِ، قَالَ: {وَمَا ذُكِرَ فِي خَلْقِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَأَكْسَابِهِمْ " لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} (أَي أَنَّ خَلْقَ الْعِبَادِ وَأَكْسَابِهِمْ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ وَمِنْ ذَلِكَ تَحْرِيكُ الشَّفَتَيْنِ وَاللِّسَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.**

قوله: **(وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {مَا تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ}: {بِالرَّسَالَةِ وَالْعَذَابِ})** هذا غير مخلوق، وقوله: **({لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ} [الأحزاب: ٨]: «الْمُبَلِّغِينَ الْمُؤَدِّينَ مِنَ الرُّسُلِ»)** هذا مخلوق، الذي هو نفس التبليغ، قوله: **({وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ} [الزمر: ٣٣]: «الْقُرْآنُ»)** والقرآن غير مخلوق قوله: **({وَصَدَقَ بِهِ} [الزمر: ٣٣]: " الْمُؤْمِنُ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَذَا الَّذِي أُعْطَيْتَنِي عَمِلْتُ بِمَا فِيهِ ")** هذا مخلوق.

قوله: **({وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت: ٢٢] " الْآيَةَ)** هذا وما بعده من الأبواب كله في الرد على من لم يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِ الْعَبْدِ كَحَرَكَاتِ اللِّسَانِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ وَبَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ غَيْرِ الْمَخْلُوقِ، وَوَجْهَ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ هَذِهِ الْحَوَاسِ سَتَتَكَلَّمُ وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ.

وإذا تكلمت نُسب الكلام إليها لا إلى الله، فهي مخلوقة وكلامها مخلوق، بخلاف كلام الله الذي ليس مخلوقاً.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ (٣٢٢) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: ٢٩] و{مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ} [الأنبياء: ٢] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَعَلَّ اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق: ١] «وَأَنَّ حَدِيثَهُ لَا يُشْبِهُ حَدِيثَ الْمَخْلُوقِينَ» لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ [ص: ١٥٣]: «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " إِنْ اللَّهُ يُحَدِّثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنْ مِمَّا أَحَدَّثَ: أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ " .

٧٥٢٢ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ وَرْدَانَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ، وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِاللَّهِ، تَقْرَأُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبَّ» .

٧٥٢٣ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ أَحَدُ الْأَخْبَارِ بِاللَّهِ، مَحْضًا لَمْ يُشَبَّ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ: أَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ بَدَّلُوا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ وَغَيَّرُوا، فَكُتِبُوا بِأَيْدِيهِمْ الْكُتُبُ، قَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِأَيْدِيهِمْ، أَوْ لَا يَنْهَأكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ فَلَا وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ " .

قوله: **(بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: ٢٩])** يريد أن يُبين أن القرآن كلام الله حدث بعد التوراة وبعد الإنجيل، فكلام الله يتجدد، ثم أفراد القرآن يتجدد أيضاً، وهذا رد على كل الطوائف الذين لا يؤمنون أن أفعال الله وكلامه يتجدد؛ لأنهم يرون أن التجدد لا يكون إلا للأجسام، ويعتمدون على دليل الأعراض وحدوث الأجسام كما تقدمت الإشارة لذلك.

قوله: **(وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق: ١] «وَأَنَّ حَدِيثَهُ لَا يُشْبِهُ حَدِيثَ الْمَخْلُوقِينَ» لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١])** وهذه خلاصة لو عقلها المتكلمون من الأشاعرة لانتفعوا، والعجيب أنهم يشرحون هذا الكلام، ثم يقعون في الاعتقاد الأشعري البدعي - عافاني الله وإياكم -، فهو يقول كلام الله يحدث ويتجدد، ولكن ما يحدث ويتجدد له ليس كغيره، فليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.

قوله: **(«إِنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ: أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ»)** أي يتجدد، ويحدث بعد أن لم يكن.

قوله: **(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ، وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِاللَّهِ، تَقْرَأُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبَّ»)** كتاب الله حَدَثٌ وتجدد بعد التوراة والإنجيل.

قوله: **(وَكِتَابِكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ أَحْدَثُ الْأَخْبَارِ بِاللَّهِ)** هذا الذي حدث هو كلام الله، فيُفْرَق بين كلام الله وكلام المخلوق.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ (٣٢٣) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ} [القيامة: ١٦]

وَفِعَلَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ".

٧٥٢٤ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ} [القيامة: ١٦] قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ» - فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أَحَرَّكُهُمَا لَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أَحَرَّكُهُمَا كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة: ١٧] قَالَ: «جَمَعُهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَأُهُ»، {فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: ١٨] قَالَ: " فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ".

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ} [القيامة: ١٦]) لا يزال مستمرًا

رَحِمَهُ اللهُ في بيان الفرق بين حركة الشفتين... إلخ وأنها مخلوقة وبين كلام الله نفسه.

قوله: (وَفِعَلَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ" ) قال الله تعالى: ﴿لَا

تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَازِلَ بِهِ ﴿ [القيامة: ١٦] فتحرك اللسان مخلوق، أما القرآن نفسه الذي حُرِّكَ به اللسان فليس مخلوقاً، فالقرآن كلام الله، فإذا تكلم به فهو كلام الله، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وإذا كُتِبَ فهو كلام الله، وفي البخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا تسافر بالقرآن إلى أرض العدو» (٣٢٤)، وإذا سُمِعَ فهو كلام الله، قال تعالى: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾.

قوله: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتُ بِي شَفَتَاهُ) فالشفتان المتحركتان مخلوقة، فغاير بين الكلام وبين تحريك الشفتين بالكلام، فدل على أن بينهما فرقاً.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

باب (٣٢٥) قول الله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

{يَتَخَفَتُونَ} [طه: ١٠٣]: {يَتَسَارُونَ}

٧٥٢٥ - حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، عَنْ هُشَيْمٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَشْرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء: ١١٠] قَالَ: «نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ، سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ»، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ} [الإسراء: ١١٠]: أَيِ بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ: {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء: ١١٠] عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ {وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الإسراء: ١١٠].

٧٥٢٦ - حَدَّثَنَا عُبيدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء: ١١٠] فِي الدُّعَاءِ".

٧٥٢٧ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»، وَزَادَ غَيْرُهُ: «يَجْهَرُ بِهِ».

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾) ففرّق بين قول الإنسان الذي يجهر به ويخافت وبين القرآن نفسه.

قوله: (فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ} [الإسراء: ١١٠]: أَيِ بَقْرَاءَتِكَ فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ) صلاتك: أي بقراءتك للقرآن، وقوله: (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا) [الإسراء: ١١٠] فِي الدُّعَاءِ " ما تقدم من الأدلة يدل على أن المراد قراءة القرآن، وأما عائشة فتذكره في الدعاء.

قوله: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ»، وَزَادَ غَيْرُهُ: «يَجْهَرُ بِهِ»)) ففرّق بين التغني والقرآن نفسه.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٢٦) قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ «فَبَيَّنَ أَنَّ قِيَامَهُ بِالْكِتَابِ هُوَ فَعْلُهُ»،

وَقَالَ: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ}، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧]

٧٥٢٨ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا تَحَاسَدِ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ".

٧٥٢٩ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ " سَمِعْتُ سُفْيَانَ مَرَارًا، لَمْ أَسْمَعْهُ يَذْكُرُ الْخَبَرَ، وَهُوَ مِنْ صَحِيحِ حَدِيثِهِ.

قوله: (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ «فَبَيَّنَ أَنَّ قِيَامَهُ بِالْكِتَابِ

هُوَ فِعْلُهُ» هذا القيام فعل العبد، ففرق بين فعل العبد وبين القرآن، لذا بيّن أنه يقوم بالكتاب وهذا من فعله، وهذا من دقة الاستنباطات والإشارات من البخاري رَحِمَهُ اللهُ.

قوله: (وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧]) أي هذه

الأعمال، والأعمال والخير مخلوقة.

قوله: (يَقُولُ: لَوْ أُوتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَتْ عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ) فكلها أفعال

وأعمال، وهي مخلوقة.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٢٧) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِي

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: «مِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»  
 وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ} [الجن: ٢٨] وَقَالَ تَعَالَى: (أَبْلِغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي) وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: " حِينَ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: {فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ١٠٥] وَقَالَتْ عَائِشَةُ: " إِذَا [ص: ١٥٥] أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امْرِئٍ فَقُلْ: {اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ١٠٥]: وَلَا يَسْتَخِفُّكَ أَحَدٌ " وَقَالَ مَعْمَرٌ: {ذَلِكَ الْكِتَابُ} [البقرة: ٢] «هَذَا الْقُرْآنُ» {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢]: «بَيَانٌ وَدَلَالَةٌ»، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ} [المنحة: ١٠]: «هَذَا حُكْمُ اللَّهِ» {لَا رَيْبَ} [البقرة: ٢]: «لَا شَكَّ»، {تِلْكَ آيَاتُ} [البقرة: ٢٥٢]: يَعْنِي هَذِهِ أَعْلَامُ الْقُرْآنِ، وَمِثْلُهُ: {حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمْ} [يونس: ٢٢]: «يَعْنِي بِكُمْ».

وَقَالَ أَنَسٌ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالَهُ حَرَامًا إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أَبْلِغُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ.

٧٥٣٠ - حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ الرَّقِّيِّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَيْثِيُّ،

وَزِيَادُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: أَخْبَرَنَا نَبِيْنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبَّنَا: «أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ».

٧٥٣١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا؟ وَقَالَ مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقْهُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ»: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧].

٧٥٣٢ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَرْحِبِيلَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ} [الفرقان: ٦٩] الآية.

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ}) كل هذا تأكيد للفرق بين القرآن وفعل العبد، ويريد أن ما بُلِّغَ غير مخلوق وهو القرآن، أما تبليغ الرسول نفسه فهو فعل العبد.

قوله: **(وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: «مِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»)** من الله الرسالة: أي منه القرآن وهو غير مخلوق، وعلى رسوله البلاغ: هذا مخلوق.

قوله: **(وَقَالَتْ عَائِشَةُ: " إِذَا [ص: ١٥٥] أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلٍ امْرِيٍّ فَقُلْ: {اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ١٠٥]: وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ أَحَدٌ ")** أي لا تغتر بعمل أحد، فالشاهد إذا أعجبك حسن عمل امرئ ومن ذلك الصلاة وقراءته للقرآن، فنسبت العمل إلى العبد.

وفي استشهاد عائشة بالآية بعد وفاة رسول الله ﷺ ردُّ على بعض المعاصرين لما قالوا: لا يصح قول هذا بعد موت النبي ﷺ.

والخلاصة أن البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ سيذكر استطرادًا أنه يُنتقل من الخطاب البعيد للخطاب القريب ويُنتقل من القريب إلى البعيد، وهذا عند أهل اللغة والبلاغة إنما يُفعل لسبب ولعظم الأمر الذي غُير في استعماله.

فلذلك في القرآن استُعمل معه الخطاب البعيد، واستُعمل معه الخطاب القريب، وهذا أسلوب بلاغي يدل على عِظَم ما استُعمل معه هذا الأمر.

قوله: **(وَقَالَ مَعْمَرٌ: {ذَلِكَ الْكِتَابُ} [البقرة: ٢] «هَذَا الْقُرْآنُ» {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢])** (معمر) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، وهو من أئمة اللغة، وقوله: **{ذَلِكَ**

الْكِتَابُ ﴿إشارة للبعيد، ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ هداية الدلالة والإرشاد، وهذا مخلوق، وهذه المعاني أشار إليها الحافظ ابن حجر (٣٢٨).

والهداية نوع من البلاغ والبلاغ مخلوق كما تقدم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] فالكتاب شيء غير مخلوق، أما الهداية نفسها وفعل دعوة الناس والسعي في هدايتهم مخلوق.

قوله: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المتحنة: ١٠]: «هَذَا حُكْمُ اللَّهِ» قال: ذلكم خطاب للبعيد تعظيمًا لشأنه، وهذا استطراد من البخاري رَحْمَةً لِلَّهِ، وانتهى وجه الدلالة فيما نحن بصدده من التفريق بين فعل العبد والقرآن.

قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾ [البقرة: ٢٥٢]: «يَعْنِي هَذِهِ أَعْلَامُ الْقُرْآنِ» أعلام القرآن هي دلائل القرآن، وقوله: (تلك) للبعيد، وهذا تعظيمًا لشأن القرآن، ثم أورد له شاهدًا في كتاب الله، فقال: ﴿وَمِثْلَهُ: حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢]: «يَعْنِي بِكُمْ» الأصل أن يُقال (بكم) فالخطاب لهم، لكن غاير في الخطاب لعظم الأمر، وهذا استطراد منه رَحْمَةً لِلَّهِ.

فوجه الدلالة فيما نحن بصدده أنه قال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ هذا غير مخلوق، وقوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ هداية الدلالة والإرشاد مخلوقة وهي فعل العبد.

قوله: (وَقَالَ أَنَسٌ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالَهُ حَرَامًا إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ) فقولُه: (أُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) هو كلامه، وحرام: هو حرام بن ملحان الأنصاري.

قوله: (عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقُهُ...».) نسبت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الكتم والبلاغ إلى النبي ﷺ، فدل على الفرق بين فعل العبد والقرآن نفسه.

قوله: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ}.) قال: (تَصْدِيقَهَا) فنسب الكلام لها ثم صدقها الله، فقولها شيء مخلوق أما تصديق الله لها بالقرآن فهذا غير مخلوق، وفرق بين البلاغ والمبلغ.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٢٩) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {قُلْ فَاتَّبِعُوا التَّوْرَةَ فَاتَّبِعُواهَا} [آل عمران: ٩٣]

وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أُعْطِيَ أَهْلَ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا بِهَا، وَأُعْطِيَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ، وَأُعْطِيْتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمَلْتُمْ بِهِ» وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} [البقرة: ١٢١]: «يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ»، يُقَالُ: {يُتْلَى} [النساء: ١٢٧]: " يُقْرَأُ، حَسَنُ التَّلَاوَةِ: حَسَنُ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ "، {لَا يَمْسُهُ} [الواقعة: ٧٩]: «لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا، كَمَثَلِ الْحِمَارِ [ص: ١٥٦] يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الجمعة: ٥] وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالصَّلَاةَ عَمَلًا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبِلَالٍ: «أَخْبِرْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمَلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ»، قَالَ: مَا عَمَلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ إِلَّا صَلَّيْتُ وَسُئِلْتُ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ».

٧٥٣٣ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيْمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَّمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ، فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ، فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَتْ الْقُرْآنَ، فَعَمَلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَعْطِيْتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: هُوَ لَأَءِ

أَقْلُ مِنَّا عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا، قَالَ اللَّهُ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مَن حَقَّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَن أَشَاءُ".

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا} [آل عمران: ٩٣]) هذا فيه تأكيد ما تقدم، فيريد أن يُفَرِّقَ بين التلاوة والتمتو، فالتمتو غير مخلوق وهو القرآن والتلاوة فعل العبد مخلوق.

قوله: (أُعْطِيَ أَهْلَ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا بِهَا، وَأُعْطِيَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ، وَأُعْطِيْتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ) كلها عمل العبد، وعمل العبد مخلوق.

قوله: (وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} [البقرة: ١٢١]: «يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ» أصل (يتلونونه) أي يقولونه لكن كمال التلاوة أن يعملوا به، وعمل العبد مخلوق.

قوله: (لَا يَمَسُّهُ} [الواقعة: ٧٩]: «لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَن آمَنَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ» (لا يمسه): أصل المس المباشرة، لكن هذا كمال المس، ألا يعمل به ويجد لذته إلا المطهرون.

قوله: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا، كَمَثَلِ الْحِمَارِ [ص: ١٥٦] يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ) فهؤلاء لم يحصل لهم المس الكامل ولم يعملوا به، وهؤلاء ذمهم الله أنهم لم يعملوا به، وهذا استطراد من البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أن يُفَرِّقَ بين عمل العبد والقرآن نفسه.

قوله: (وَسَمَى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا) كما في الحديث الذي بعده.

قوله: (سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» وَقَالَ: {جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}) فسمى الإيمان عملاً.

فإن قيل: هل الإيمان مخلوق؟ فيقال فيه تفصيل، إن أُريد فعل العبد فهو مخلوق، وإن أُريد الأوامر الشرعية فهي غير مخلوقة، وهذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (٣٣٠).

لكن من أين أتى البخاري بلفظ الإسلام في قوله: (وَسَمَى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ وَالْإِيمَانَ عَمَلًا) وهو إنما ذكر الإيمان؟

فيقال: هذا على مذهب البخاري رَحِمَهُ اللهُ من أنه لا يُفرق بين الإسلام والإيمان، فما جاء في الإيمان فهو في الإسلام والعكس، وهذا ما قرره البخاري رَحِمَهُ اللهُ في كتاب (الإيمان) (٣٣١).

قوله: (أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ، فَعَمِلُوا بِهَا) ففرَّق بين التوراة وبين العمل بها، والعمل بها مخلوق.

(٣٣٠) مجموع الفتاوى (٧/٦٦٤).

(٣٣١) صحيح البخاري (١/١٠).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٣٢) وَسَمَى النَّبِيَّ ﷺ الصَّلَاةَ عَمَلًا، وَقَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

٧٥٣٤ - حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْوَلِيدِ، ح وَحَدَّثَنِي عَبَادُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَسَدِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبَادُ بْنُ الْعَوَامِ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعِزَّارِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلَهَا، وَبَرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

قوله: (بَابُ وَسَمَى النَّبِيَّ ﷺ الصَّلَاةَ عَمَلًا، وَقَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ» ) لا زال رَحْمَةُ اللَّهِ مستمرًا في بيان الفرق بينهما، وأن الصلاة عمل، فإذا كانت عملاً فهي مخلوقة بخلاف القرآن نفسه الذي يُقرأ في الصلاة.

قوله: (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلَهَا...» ) الصلاة لوقتها فعل العبد، وقراءة القرآن فعل العبد وهو مخلوق، أما القرآن نفسه فغير مخلوق.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٣٣) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} [المعارج: ٢٠] "هَلُوعًا: ضَجُورًا".

٧٥٣٥ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مَالٌ فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَتَبُوا، فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ» مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ، فَقَالَ عَمْرُو: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ.

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} [المعارج: ٢٠]) لا زال رَحْمَةُ اللَّهِ مستمرا في بيان الفرق بين عمل العبد المخلوق وبين القرآن، وذلك أن الإنسان نفسه وُصف بأنه جزوع وهلوع، فهذا يرجع إلى فعله، بخلاف القرآن نفسه.

قوله: (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مَالٌ فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَتَبُوا، فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ»)

فنسب الغنى والخير والجزع والهلع لقلب العبد، وفرق بين فعل العبد والشرع نفسه وهو القرآن.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٣٤) ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ [ص: ١٥٧] وَرِوَايَتِهِ عَنْ رَبِّهِ

٧٥٣٦ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْهَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ، قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشِيًّا أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً».

٧٥٣٧ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: رُبَّمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، - أَوْ بُوْعًا -»، وَقَالَ مُعْتَمِرٌ: سَمِعْتُ أَبِي، سَمِعْتُ أَنَسًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٧٥٣٨ - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّكُمْ، قَالَ: «لِكُلِّ عَمَلٍ كَفَّارَةٌ، وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلِخُلُوفٍ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

٧٥٣٩ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، ح وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ، قَالَ: " لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى " وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ.

٧٥٤ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ، أَخْبَرَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ - أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ -» قَالَ: فَرَجَّعَ فِيهَا، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ مُعَاوِيَةُ: يَحْكِي قِرَاءَةَ ابْنِ مُغَفَّلٍ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيْكُمْ لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ ابْنُ مُغَفَّلٍ، يَحْكِي النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ: كَيْفَ كَانَ تَرْجِيعُهُ؟ قَالَ: آآ آ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قوله: (بَابُ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ [ص: ١٥٧] وَرَوَاتِهِ عَنْ رَبِّهِ) لا زال رَحْمَةُ اللَّهِ مستمراً، فما يرويه النبي ﷺ غير مخلوق، لكن كلام النبي ﷺ نفسه مخلوق.

قوله: (قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ - أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ -» قَالَ: فَرَجَّعَ فِيهَا) لاحظ قوله: (فَرَجَّعَ فِيهَا) ورجع هنا لها معنيان، إما رجع بمعنى حسن تلاوته بها، أو رجع بسبب ركوبه على الدابة، واختار القول الثاني ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ (٣٣٥).

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٣٦) مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ، بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران: ٩٣].

٧٥٤١ - وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: أَنَّ هِرْقَلَ دَعَا تَرْجَمَانَهُ،

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَهُ: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ، عَبْدِ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرْقَلٍ، وَ: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} [آل عمران:

٦٤] الْآيَةَ "

٧٥٤٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ،

عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ [ص: ١٥٨] الْكِتَابِ

يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "

لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ} [البقرة: ١٣٦] " الْآيَةَ.

٧٥٤٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَرَجُلٌ وَامْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ زَنِيَا، فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «مَا تَصْنَعُونَ

بِهِمَا؟»، قَالُوا: نُسَخِّمُ وُجُوهُهُمَا وَنُخْزِيهِمَا، قَالَ: {فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ} [آل عمران: ٩٣] فَجَاءُوا، فَقَالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَرْضُونَ: يَا أَعُورُ، اقْرَأْ فَقَرَأَ حَتَّى

انْتَهَى إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، قَالَ: «ارْفَعْ يَدَكَ»، فَرَفَعَ يَدَهُ فِإِذَا فِيهِ آيَةُ الرَّجْمِ

تُلُوْحُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ عَلَيهِمَا الرَّجْمَ، وَلَكِنَّا نُكَاتِمُهُ بَيْنَنَا، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَجِمَا، فَرَأَيْتُهُ يُجَانِيْ عَلَيْهِمَا الْحِجَارَةَ.

قوله: (بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ، بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَاتَّوَا بِالتَّوْرَةِ فَاتَّلَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران: ٩٣]) التفسير نفسه مخلوق، أما المُفَسِّر غير مخلوق، ولا زال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ مستمراً؛ لأنها كانت فتنة عظيمة حصلت في زمنه، ولبس بها على بعض الناس فبغى على بعض أهل السنة.

قوله: (أَنَّ هِرْقَلٌ دَعَا تَرْجُمَانَهُ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ) دعا ترجمانه حتى يُفسر الكلام.

قوله: (يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ عَلَيهِمَا الرَّجْمَ، وَلَكِنَّا نُكَاتِمُهُ بَيْنَنَا، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَجِمَا، فَرَأَيْتُهُ يُجَانِيْ عَلَيْهِمَا الْحِجَارَةَ) فرَّق بين التوراة نفسها وبين تحريف الناس لها.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٣٧) قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ»

وَزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " .

٧٥٤٤ - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْرَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَدْنَى لَشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ» .

٧٥٤٥ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِنْفِكِ مَا قَالُوا، وَكُلُّ حَدَّثَنِي طَائِفَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ، قَالَتْ: " فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا حِينِيذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يُبَرِّئُنِي، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُنَزِّلُ فِي شَأْنِي وَحَيًّا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِنْفِكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ { الْعَشْرَ الْآيَاتِ كُلَّهَا .

٧٥٤٦ - حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، أَرَاهُ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، قَالَ: " سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ " .

٧٥٤٧ - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي بَشْرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَوَارِيًا بِمَكَّةَ، وَكَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ: [ص: ١٥٩] وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ] [الإسراء: ١١٠] ".

٧٥٤٨ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذْنَتَ لِلصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: « لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جُنُّ وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٧٥٤٩ - حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ» وَزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ) وهذا صريح في قوله: (وَزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ) ففرق بين القرآن والصوت، والماهر هذا لأجل صوته، وفرق بين الصوت والقرآن نفسه.

قوله: (قَالَتْ: " فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا حِينِيذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يُبْرِئُنِي، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِي شَأْنِي وَحَيًّا يُتْلَى وَلِشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَّرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي

النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ { الْعَشْرَ الْآيَاتِ }  
 الشاهد منه قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى)  
 ففرقت بين القرآن وتلاوته.

قوله: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: وَالزَّيْتُونَ وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا  
 أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ) ففرق بين القرآن وحسن الصوت.

قوله: («لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جُنُّ وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ») فرق بين الصوت نفسه وبين الأذان نفسه، فالصوت فعل العبد، ووجه  
 الدلالة أن يُقاس هذا على من قرأ القرآن.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٣٨) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}.

٧٥٥٠ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الْقَارِيِّ، حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرَأَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكِدْتُ أَسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّيْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَفُوْدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرَأَنَّهَا، فَقَالَ: «أُرْسَلُهُ، أَقْرَأْ يَا هِشَامُ»، فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرَأْ يَا عُمَرُ»، فَقَرَأْتُ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ: «كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ».

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}) لازال الإمام

البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ مستمراً في بيان الفرق بين فعل العبد بتحريك شفثيه ولسانه وبين القرآن نفسه، فقوله تعالى: ﴿فَاقْرَأُوا﴾ فعل القراءة نفسها هذا فعل العبد، والقرآن هو كلام الله غير المخلوق.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ (٣٣٩) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [القمر: ١٧]

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» يُقَالُ مُيسَّرٌ: مُهيأٌ " وَقَالَ مُجَاهِدٌ: " يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ: هَوَّنَّا قِرَاءَتَهُ عَلَيْكَ " وَقَالَ مَطَرُ الْوَرَّاقِ: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [القمر: ١٧] قَالَ: «هَلْ مِنْ طَالِبٍ عِلْمٍ فَيَعَانِ عَلَيْهِ».

٧٥٥١ - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، قَالَ يَزِيدُ: حَدَّثَنِي مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِمْرَانَ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِيمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلُّ مُيسَّرٍ [ص: ١٦٠] لِمَا خُلِقَ لَهُ».

٧٥٥٢ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، وَالْأَعْمَشِ، سَمِعَا سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ عُوْدًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ»، قَالُوا: أَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ»، {فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى} [الليل: ٥] الْآيَةَ.

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ}) فرق بين

الذكر نفسه وبين العبد إذا أراد أن يتفهم القرآن أو أن يحفظه فإن الله ميسره للعبد.

قوله: **(«اعْمَلُوا فِكُلُّهُ مَيْسَرٌ»)** من ذلك - والله أعلم - دراسة وحفظ العبد للقرآن فإن الله يسره للدارس والمتعلم، ففرق بين الذكر نفسه وهو القرآن وبين فعل العبد من حفظه ودراسته.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ (٣٤٠) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج: ٢٢]  
 {وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُسْطُورٍ} [الطور: ١] قَالَ قَتَادَةُ: «مَكْتُوبٌ»، {يَسْطُرُونَ} [القلم: ١]:  
 «يَحْطُونَ»، {فِي أُمَّ الْكِتَابِ} [الزخرف: ٤]: «جُمْلَةُ الْكِتَابِ وَأَصْلِهِ»، {مَا يَلْفِظُ} [ق: ١٨]:  
 «مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُكْتَبُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ»، {يُحَرِّفُونَ}  
 [النساء: ٤٦]: «يُزِيلُونَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتِبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنَّهُمْ  
 يُحَرِّفُونَهُ، يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ» {دِرَاسَتُهُمْ} [الأنعام: ١٥٦]: «تِلَاوَتُهُمْ»، {وَاعِيَةٌ}  
 [الحاقة: ١٢]: «حَافِظَةٌ»، {وَتَعِيَهَا} [الحاقة: ١٢]: «تَحْفَظُهَا»، {وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ  
 لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ} [الأنعام: ١٩] «يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ» {وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام: ١٩]: «هَذَا الْقُرْآنُ فَهُوَ لَهُ  
 نَذِيرٌ»

٧٥٥٣ - وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ  
 أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " لَمَّا فَضِيَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ:  
 غَلَبْتُ، أَوْ قَالَ سَبَقْتُ رَحْمَتِي غَضَبِي، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ".  
 ٧٥٥٤ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي غَالِبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ،  
 سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، أَنَّ أَبَا رَافِعٍ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ:  
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي  
 سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ".

قوله: **(بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢٢])**  
 المجيد هو القرآن نفسه، واللوح الذي كُتب فيه القرآن يختلف عن القرآن، فاللوح  
 مخلوق والقرآن غير مخلوق.

قوله: **(﴿مَا يَلْفِظُ﴾ [ق: ١٨]: «مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ»** قال: (يلفظ)  
 ففعل العبد اللفظ هو مخلوق بخلاف القرآن نفسه.

قوله: **(﴿يُزِيلُونَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنَّهُمْ  
 يُحَرِّفُونَهُ، يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ﴾** ففرق بين فعل التحريف وبين القرآن نفسه.

قوله: **(﴿وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]: «حَافِظَةٌ»، ﴿وَتَعِيَهَا﴾ [الحاقة: ١٢]: «تَحْفَظُهَا»** ففرق  
 بين القرآن المحفوظ وبين القلب الذي حفظه.

فيلاحظ أنه فرق بين فعل العبد من الحفظ والكتاب أو اللوح الذي كتب فيه  
 القرآن وبين القرآن نفسه.

قوله: **(﴿لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: عَلَبْتُ، أَوْ قَالَ سَبَقْتُ رَحْمَتِي  
 عَضْبِي، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ﴾** كأن البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** يريد أن القرآن مكتوب في هذا  
 الكتاب، وفرق بين القرآن نفسه وبين الكتابة نفسها.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ (٣٤١) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصفات: ٩٦]

{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩] وَيُقَالُ لِلْمُصَوِّرِينَ: «أَحْيَا مَا خَلَقْتُمْ» {إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ، يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: «بَيَّنَّ اللَّهُ الْخَلْقَ مِنَ الْأَمْرِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤] وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا قَالَ أَبُو ذَرٍّ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» وَقَالَ: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧] وَقَالَ وَفَدُّ عَبْدِ الْقَيْسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مُرْنَا بِجَمَلٍ مِنَ الْأَمْرِ، إِنْ عَمَلْنَا بِهَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ، فَأَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالشَّهَادَةِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ {فَجَعَلَ ذَلِكَ كُفْلَهُ عَمَلًا}.

٧٥٥٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، وَالْقَاسِمِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ زَهْدَمٍ، قَالَ: كَانَ بَيْنَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ جُرْمٍ وَبَيْنَ الْأَشْعَرِيِّينَ وَدُّوَإِيَاءِ، فَكُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَقُرَّبَ إِلَيْهِ الطَّعَامُ، فِيهِ لَحْمٌ دَجَاجٍ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ كَانَهُ مِنَ الْمَوَالِيِّ، فَدَعَاهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا فَقَدَرْتُهُ فَحَلَفْتُ لَا آكُلُهُ، فَقَالَ: هَلُمَّ فَلَأُحَدِّثَكَ عَنْ ذَلِكَ: إِنِّي آتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ، قَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ»، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ

بَنَهَبِ إِبِلٍ، فَسَأَلَ عَنَّا، فَقَالَ: «أَيْنَ النَّفَرُ الْأَشْعَرِيُّونَ؟»، فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدِ غُرِّ الدَّرِيِّ، ثُمَّ أَنْطَلَقْنَا قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا حَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ لَا يَحْمِلَنَا وَمَا عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا؟ ثُمَّ حَمَلْنَا تَغَفَّلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمِينَهُ وَاللَّهِ لَا نُفْلِحُ أَبَدًا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا لَهُ: فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا أَحْمِلُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا آتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَتَحَلَّلْتُهَا».

٧٥٥٦ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو جَمْرَةَ الضَّبْعِيُّ، قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: فَقَالَ: قَدِمَ وَفَدَّ عَبْدَ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ مُضَرَ، وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي أَشْهُرٍ حُرْمٍ، فَمُرْنَا بِجُمَلٍ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمَلْنَا بِهِ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ، وَنَدْعُو إِلَيْهَا مَنْ وَرَاءَنَا، قَالَ: "أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمْرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطَاوَا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: لَا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالظُّرُوفِ الْمُرْفَتَةِ، وَالْحَنْتَمَةِ".

٧٥٥٧ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَدَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ".

٧٥٥٨ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَدَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ".

٧٥٥٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ [ص: ١٦٢] يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذُرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا.

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصفات: ٩٦]) أي كل فعل العبد من تحريك الشفتين والكتابة وتحريك اللسان والتلاوة مخلوقة، بخلاف المتلو وهو القرآن أو المكتوب وهو القرآن فليس مخلوقاً.

وقوله: (وَمَا تَعْمَلُونَ) اختار ابن تيمية أن (ما) موصولة، أي بمعنى (الذي)، وقيل مصدرية، وخطأً هذا شيخ الإسلام (٣٤٢)، ومثله ابن القيم في: (شفاء العليل) (٣٤٣)، فيكون معنى الآية: والله خلقكم والذين تعملون، أي والأصنام.

قال ابن تيمية وابن القيم (٣٤٤): وإذا كان هؤلاء خلقوا الأصنام فمقتضى هذا أن فعلهم التخليق نفسه مخلوق، والمتكلمون من الأشاعرة؛ لأنهم جبرية شددوا في القول بأن (ما) موصولة، بل حكى بعضهم الإجماع على أنها مصدرية، وهذا مبني على قولهم بالجبر؛ لأنهم ما بين أشاعرة ومتأثرين بالأشعرية، وهذا ظاهر في شراح كتب الحديث والتفاسير.

(٣٤٢) مجموع الفتاوى (٨ / ١٦ و ٧٩)

(٣٤٣) شفاء العليل (١ / ١٨٦ و ٣٥٩)، (١ / ٣٥٩).

(٣٤٤) المراجع السابقة.

فالمقصود أنه إن قيل إن (ما) مصدرية فيكون معنى الآية: والله خلقكم وعملكم، ويكون صريحاً في أن الأعمال مخلوقة، وإن قيل إن (ما) موصولة فيكون من باب اللزوم، والسياق على يدل أنها موصولة؛ لأنه ذكر معبوداتهم ﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

قوله: **{إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}** كل هذا مخلوق ما عدا القرآن.

قوله: **{وَيُقَالُ لِلْمُصَوِّرِينَ: «أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»}** سمي المصور فعلاً وعملاً، وأطلق على التصوير الخلق، فعليه الخلق الذي هو تحويل من صورة إلى صورة ليس خاصاً بالله، قال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] قال ابن القيم في (شفاء العليل) (٣٤٥): الخلق يخلقون، لكن خلق الله إيجاد من العدم بخلاف الخلق فهو تحويل من صورة إلى صورة.

قوله: **{إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** الشاهد قوله: **{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}** فكل ما عدا الأمر فهو مخلوق، ومنه المداد وتحريك الشفتين وتحريك اللسان، وهكذا.

قوله: **{وَسَمَىٰ النَّبِيَّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا}** تقدم أن الإيمان بمعنى فعل العبد مخلوق، وأن الإيمان بمعنى الأوامر من الله غير مخلوق، كما بين هذا ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ.**

قوله: **(لَسْتُ أَنَا أَحْمَلُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا آتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَتَحَلَّلْتُهَا)** وجه الدلالة أنه قال: **(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ)** مع أن النبي ﷺ حملهم، لكن نسب هذا إلى الله باعتباره قدره، فنسبته باعتبار أن الله قدره لا يعني أنه ليس مخلوقاً.

قوله: **(إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ)** نسب لهم الخلق مع أن المُقَدَّر لها كلها هو الله عز وجل، فإذن فرق بين فعل العبد وبين المفعول في مثل القرآن.

وكل هذه أدلة لتقريب أصل المسألة، فذكر أدلة صريحة وأدلة مستنبطة في هذه المسألة.

قال الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ:

بَابُ (٣٤٦) قِرَاءَةِ الْفَاجِرِ وَالْمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ

٧٥٦٠ - حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأَثْرَجَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ كَالتَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا».

٧٥٦١ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَزْمٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، ح وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلَ أَنَسُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَيُسُوا بِشَيْءٍ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطِفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيُقْرِئُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلُطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ».

٧٥٦٢ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ، يُحَدِّثُ عَنْ مَعْبُدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ

كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ»، قِيلَ مَا سِيْمَاهُمْ؟ قَالَ: " سِيْمَاهُمْ التَّحْلِيْقُ - أَوْ قَالَ: التَّسْبِيْدُ - " .

قوله: (بَابُ قِرَاءَةِ الْفَاجِرِ وَالْمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ) هذا كله في تأكيد ما تقدم، في التفريق بين فعل العبد وبين القرآن نفسه، وتارة يذكر رَحْمَةُ اللَّهِ أدلة صريحة وتارة أدلة غير صريحة لتأكيد هذا المعنى.

فكلامهم نفسه لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ وهذا مخلوق، أما القرآن نفسه فهو غير مخلوق، وهذا يُسْتَفَادُ منه الفرق بين فعل العبد وبين القرآن نفسه.

قوله: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ كَالْتَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا) نسب القراءة لجميعهم، وهي تختلف من أحدهم إلى الآخر، والقرآن نفسه لا يختلف وإنما الذي يختلف فعل العبد، فدل على المغايرة بين فعل العبد وبين القرآن نفسه.

قوله: (تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطِفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقْرُؤُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ) ففرق بين أصل الفعل وبين ما يوضع في أذنه، فدل على الفرق بين الأمرين.

قوله: **(سِيمَاهُمْ التَّحْلِيْقُ)** هؤلاء هم الخوارج، وهذا ليس الفارق المؤثر، وإنما ضابط الخارجي: كل من كفر بغير مكفر بتأويل غير سائغ، ولو كان مكفرًا واحدًا. كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية <sup>(٣٤٧)</sup>، ويدل عليه كلام ابن قدامة في (المغني) <sup>(٣٤٨)</sup>، والنووي في (روضة الطالبين) <sup>(٣٤٩)</sup>، والزرکشي الحنبلي <sup>(٣٥٠)</sup>.

وما زاد على ذلك من أن سيماهم التحليق... إلخ، فهذه علامة الخوارج الأوائل الذين خرجوا على علي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** لا عموم الخوارج. قاله ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى) <sup>(٣٥١)</sup>.

<sup>(٣٤٧)</sup> مجموع الفتاوى (٣/٣٥٥)، (٣/٢٧٩).

<sup>(٣٤٨)</sup> المغني لابن قدامة (١٢/٢٣٩ و ٢٤٧).

<sup>(٣٤٩)</sup> روضة الطالبين (١٠/٥١).

<sup>(٣٥٠)</sup> شرح الزرکشي على مختصر الخرقى (٦/٢١٨).

<sup>(٣٥١)</sup> مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٧).

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

بَابُ (٣٥٢) قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء: ٤٧] وَأَنَّ  
أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: " الْقُسْطَاسُ: الْعَدْلُ بِالرُّومِيَّةِ " وَيُقَالُ: " الْقِسْطُ: مَصْدَرُ الْمُقْسِطِ  
وَهُوَ الْعَادِلُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُ فَهُوَ الْجَائِرُ " .

٧٥٦٣ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِشْكَابَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ  
[ص: ١٦٣] الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " كَلِمَتَانِ  
حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ،  
سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ " .

قوله: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء: ٤٧] وَأَنَّ  
أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ) قراءة العبد للقرآن توزن فهو فعل العبد، أما القرآن نفسه  
فلا يُوزن، ففرق بين القرآن وفعل العبد، وهذه استدلالات دقيقة من البخاري رَحِمَهُ اللهُ.

قوله: (كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ:  
سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ) وجه الدلالة: أن تُلْفِظُ العبد بهذا الذكر من

عمله، فدل على أن عمله وتلفُّظه كتلفُّظه بالقرآن أو بهذه الأذكار مخلوق، بخلاف القرآن نفسه.

وبهذا ينتهي كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ وبه ختم كتابه الجامع الصحيح، فكأن البخاري يريد بهذا -والله أعلم- أن العبد يختم حياته بلا إله إلا الله وهو التوحيد حتى يكون ناجياً.

فابتدأ باب بدء الوحي، ثم ذكر العلم ثم ذكر الإيمان وهو التوحيد، ثم ختمه بالتوحيد وهو الرد على هؤلاء المخالفين، ففيه تأكيد أنه يُبتدأ بتوحيد الله، إلى أن يموت حتى يلقي الله على ذلك، أسأل الله أن يُثبتنا على التوحيد والسنة حتى نلقاه.

وأسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يغفر للإمام أبي عبد الله البخاري لما قدّم لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الجامع العظيم، الذي هو أصح كتب الإسلام على الإطلاق، وفيه من العجائب من جهة الرواية والدراية مما لا يدرية إلا من كان عارفاً بهذا.

ووالله كلما قرأ الرجل في هذا الكتاب وجد فيه من الدقة المتعلقة بعلم الحديث روايةً ومن الدقة الفقهية وقوة الاستنباط ما رأيت بعضه فيما تقدم، أسأل الله أن يغفر له ويرحمه وأن يجمعنا وإياكم وإياه في الفردوس الأعلى.



### فهرس المراجع والمصادر

١. الإبانة الكبرى لابن بطة، دار الراية - الرياض.
٢. الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، دار الفضيلة - ط ١.
٣. إبطال التآويلات، دار إيلاف الدولية، الكويت - ط ١.
٤. اجتماع الجيوش الإسلامية، دار عطاءات العلم - ط ٤.
٥. إجماع السلف في الاعتقاد كما حكاه حرب الكرماني، دار الإمام أحمد - ط ١.
٦. أحكام أهل الذمة، دار عطاءات العلم - ط ٢.
٧. الأذكار للنووي، دار الفكر - ت: عبد القادر الأرئووط.
٨. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية - ط ٦.
٩. الاستغاثة في الرد على البكري، دار المنهاج - ط ١.
١٠. الأسماء والصفات للبيهقي، مكتبة السوادي - ط ١.
١١. اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، مؤسسة الرسالة - ط ٢.
١٢. الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، وزارة الأوقاف القطرية - ط ١.
١٣. إعراب القرآن للنحاس، دار الكتب العلمية - ط ١.
١٤. أعلام الموقعين عن رب العالمين، دار عطاءات العلم - ط ٢.
١٥. أعلام النبوة للماوردي، دار ومكتبة الهلال - ط ١.
١٦. الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، مكتبة المعارف - ط ١.
١٧. بدائع الفوائد، دار عطاءات العلم - ط ٥.
١٨. بيان تلبس الجهمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - ط ١.

١٩. تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية.
٢٠. تأويل مختلف الحديث، المكتب الإسلامي - ط ٢.
٢١. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، دار طيبة - ت: نظر الفريابي.
٢٢. التدمرية، مكتبة العبيكان - ط ٦.
٢٣. التسعينية، مكتبة المعارف، الرياض - ط ١.
٢٤. تفسير ابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز - ط ٣.
٢٥. تفسير ابن كثير، دار طيبة - ط ٢، ت: سامي السلامة.
٢٦. تفسير الطبري، دار هجر - ط ١، ت: عبد الله التركي.
٢٧. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، مؤسسة الكتب الثقافية - ط ١.
٢٨. التمهيد لابن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.
٢٩. التمييز، للإمام مسلم، مكتبة الكوثر - ط ٣.
٣٠. تهذيب التهذيب، جمعية دار البر - ط ٢.
٣١. تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي - ط ١.
٣٢. التوحيد لابن خزيمة، مكتبة الرشد - ط ٥.
٣٣. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دار النوادر - ط ١.
٣٤. تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد، المكتب الإسلامي - ط ١.
٣٥. جامع المسائل لابن تيمية، دار عطاءات العلم - ط ٢.
٣٦. جمهرة اللغة، دار العلم للملايين - ط ١.
٣٧. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة - ط ٢.
٣٨. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار عطاءات العلم - ط ٤.

٣٩. الحاوي للفتاوي، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٤ هـ.
٤٠. الحججة في بيان المحجة، دار الراية - ط ٢.
٤١. خلق أفعال العباد، مكتبة المعارف - الرياض.
٤٢. درء تعارض العقل والنقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط ٢.
٤٣. ذم التأويل، لابن قدامة، الدار السلفية - ط ١.
٤٤. الرد على الجهمية للدارمي، المكتبة الإسلامية، القاهرة - ط ١.
٤٥. الرد على الجهمية والزنادقة، ت: صبري، دار الثبات للنشر والتوزيع - ط ١.
٤٦. رسالة السجزي لأهل زبيد، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - ط ٢.
٤٧. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
٤٨. روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي - ط ٣.
٤٩. السنة لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي - ط ١.
٥٠. السنة لأبي بكر الخلال، دار الراية - ط ١.
٥١. سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية - ط ١، ت: شعيب الأرنؤوط.
٥٢. السنن الكبرى للنسائي، مؤسسة الرسالة - ط ١.
٥٣. سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة - ط ٣.
٥٤. شأن الدعاء للخطابي، دار الثقافة العربية - ط ١.
٥٥. شرح الزركشي على مختصر الخرق، دار العبيكان - ط ١.
٥٦. شرح السنة للبرهاري، طبعة المكتبة الشاملة.
٥٧. شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، مؤسسة الرسالة - ط ١٠، ت: الأرنؤوط.

٥٨. شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، المكتبة العصرية - ط ١.
٥٩. شرح العقيدة الواسطية للهراس، دار الهجرة - ط ٣.
٦٠. شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي - ط ٢.
٦١. شرح جوهرة التوحيد للباجوري، دار المصطفى - ط ١.
٦٢. شرح حديث النزول، لابن تيمية، المكتب الإسلامي - ط ٥.
٦٣. شرح صحيح البخاري لابن بطلال (أعلام الحديث)، جامعة أم القرى - ط ١.
٦٤. شرح صحيح البخاري لابن بطلال، مكتبة الرشد - ط ٢.
٦٥. شفاء العليل، دار عطاءات العلم - ط ٢.
٦٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين - ط ٤.
٦٧. صحيح ابن حبان، دار ابن حزم - ط ١.
٦٨. صحيح البخاري، الطبعة السلطانية.
٦٩. صحيح مسلم، الطبعة التركية.
٧٠. الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، دار عطاءات العلم - ط ١.
٧١. صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان، المطبعة السلفية - ط ٣.
٧٢. طريق الهجرتين، دار عطاءات العلم - ط ٤.
٧٣. العرش للذهبي، عمادة البحث بالجامعة الإسلامية - ط ٢.
٧٤. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، دار العاصمة - ط ٢.
٧٥. العقيدة الواسطية، لابن تيمية، أضواء السلف - ط ٢.
٧٦. عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٧٧. غريب الحديث لإبراهيم الحربي، جامعة أم القرى - ط ١.

٧٨. الغريبين في القرآن والحديث، مكتبة نزار مصطفى الباز - ط ١.
٧٩. فتاوى السبكي، دار المعرفة - بيروت.
٨٠. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، مطبعة الحكومة بمكة - ط ١.
٨١. فتح الباري لابن حجر، المكتبة السلفية - مصر.
٨٢. فتح الباري لابن رجب، مكتبة الغرباء الأثرية - ط ١.
٨٣. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، مكتبة السنة، مصر - ط ١.
٨٤. فيض القدير للمناوي، دار طائر العلم - ط ١.
٨٥. الفتوى الحموية الكبرى، دار الصميعي - ط ٢.
٨٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، مكتبة الخانجي - القاهرة.
٨٧. قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة، مكتبة الفرقان - ط ١.
٨٨. القواعد المثلى، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ط ٣.
٨٩. كشف المشكل على الصحيحين، دار الوطن - ت: علي حسين البواب.
٩٠. لسان العرب، دار صادر - ط ٣.
٩١. لوامع الأنوار السننية ولواقح الأفكار السننية، مكتبة الرشد - الرياض.
٩٢. مجموع الفتاوى لابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٩٣. المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، جامعة أم القرى - ط ١.
٩٤. مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، دار الوطن - ١٤١٣هـ.
٩٥. مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، لجنة التراث العربي.
٩٦. المحلى بالآثار، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٧. المحيط في اللغة، دار عالم الكتب - ط ١.
٩٨. مختار الصحاح، المكتبة العصرية - ط ٥.
٩٩. مختصر الصواعق المرسله، دار الحديث - ط ١.
١٠٠. مدارج السالكين، دار عطاءات العلم - ط ٤.
١٠١. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، دار اليسر - ط ١، ت: عوامة.
١٠٢. مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة - ط ١.
١٠٣. مشكل الحديث وبيان، عالم الكتب - ط ٢.
١٠٤. مصنف ابن أبي شيبة، دار كنوز إشبيليا - ط ١، ت: الشثري.
١٠٥. معرفة السنن والآثار للبيهقي، دار الوفاء، القاهرة - ط ١.
١٠٦. معيار العلم في فن المنطق، دار المعارف - مصر.
١٠٧. المغني لابن قدامة، دار عالم الكتب - ط ٣، ت: عبد الله التركي.
١٠٨. مفتاح دار السعادة، دار عطاءات العلم - ط ٣.
١٠٩. مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، دار مكتبة الحياة - بيروت.
١١٠. منهاج السنة النبوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط ١.
١١١. المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، دار الفكر - ط ١.
١١٢. الموافقات للشاطبي، دار ابن عفان - ط ١.
١١٣. النبوات، لابن تيمية، مكتبة أضواء السلف - ط ١.
١١٤. نقض الدارمي على المريسي، المكتبة الإسلامية للنشر - ط ١، ت: الشوامي.
١١٥. نقض الدارمي على المريسي، مكتبة الرشد - ط ١، ت: الألمعي.
١١٦. نونية ابن القيم، دار عطاءات العلم - ط ٤.